مشكلة الانسان حوار بين ابى حيان التوحيدى ومسكويه

د. زينب عفيفى
استاذ الفلسفة الاسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة المنوفية

تمهيد :

أمشكلة الانسان ، أم الانسان مشكلة ولغز محير ؟

التساؤل فى حد ذاته هو جوهر الوجود الانسانى ، والوجود الانسانى هو محور تساؤل الإنسان ، فإذا كان الانسان يمثل عالما صغيرا ويشابه ويناظر العالم الكبير كما يقول مسكويه والتوحيدى ، فنحن إذن أمام وجود ظاهرة واضح وباطنه خفى، ظاهره ينتمى الى عالم الواقع والمحسوسات ، وباطنه ينتمى الى عالم الماوراء والغيب ، ظاهره يمكننا من معرفته وتفسيره والالمام بكل ما يحيط به ، وباطنه يحول بيننا وبين إدراك حقيقته فهو من جبايا الخلق وخفايا الوجود .... من هنا تكمن مشكلة الانسان الحقيقية ، ولهذا أصبحت دراسته - فى علاقاته المتشابكه ، وإدراكاته المتنوعة ، وسلوكياته المترددة - تعد مشكلة المشاكل وقضية القضايا الفلسفية ، ناهيك عن أنه ككائن حى ووحدة مستقلة لغز كبير وإشكاليه معقدة .

كيف يكون الانسان مشكلة ، وهو نفسه الكائن الوحيد القادر على فهم ذاته ، وحل ما يصادفه من مشاكل ؟ صحيح ، ولكنه ليس هو المسئول الوحيد عن وجود المشاكل ، فالمشكلات قد تثيرها أزمات وثورات العصر الذى يعيش فيه ، وقد تكون مفروضة عليه فرضا ميتافيزيقيا ، فلا يدرك اصلها وأسبابها ، وبالتالى يقف أمامها ليس عاجزا عن حلها فحسب ، بل حتى عاجزا عن فهمها ، ناهيك عن تفاوت قدراته وإمكانياته وبالتالى تفاوت نصيبه من الدنيا وحظوظها وهو ما يمثل أعمق المشكلات التى يواجهها وأعقدها ، وقد تضعه فى عداد الاشقياء التعساء البائسين ، أو فى عداد السعداء المحظوظين .

فمشكلة الانسان إذن هو أنه يحمل فى ذاته إحساسه بأنه يسعى وراء ذاته ، يريد أن يقف على حقيقتها ، ويتبين ماهيتها ، الإنسان مشكلة لأنه من بين الموجودات جميعا أكثرها شقاء ، وأعمقها ألما ، وأرهفها حسا ، وربما كان سر شقاء الإنسان هو أنه لا يستطيع مطلقا أن يبلغ مرحلة الاتزان المطلق ، أو التطابق التام مع النفس فيظل فى صراع دائم معها .

من هنا حظيت قضية الإنسان المشكل ، باهتمام أكثر فلاسفة العالم واثارت انتباه المفكرين والادباء والعلماء فى شتى التخصصات، وكانت هذه القضية بالذات محور إهتمام مفكرى الاسلام وخاصة فى القرن الرابع الهجرى ، قرن الاهتمام بالإنسان وقضاياه .

شغلت هذه القضية اهتمام فيلسوفين كبيرين عاشا وازدهرا فى ذلك القرن قرن نضج الحضارة العربية الاسلامية وبلوغها قمة ازدهارها ، وكان لهما شأنهما فى مراكز الفكر والثقافة ، ومحافل الادباء والعلماء آنذاك .

أما أولهما فهو على بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدى الأديب الفيلسوف الذى ولد ببغداد ما بين ٣١هـ أو ٣٢ هـ وايا كان أصله أو نشأته ، فإن ثقافته وعلمه لم يتكونا ويظهرا إلا فى بغداد عاصمة الثقافة العربية والاسلامية فى ذلك الوقت [١] ، وهى العاصمة التى كان لها شأنها فى إظهار عبقريته الموسوعية ذات الطابع التحررى المتفتح بحكم ما وفد اليها من ثقافات متنوعة وما حظت به مجالسها من العلماء والادباء والفلاسفة ، ولكنها أيضا كانت نقمة عليه فقد حرمته من أن ينال حظه ومكانته فيها فلم ترضى به إلا ناسخا للكتب وظلت مهنته تلاحقه اينما ذهب حتى ضاق بها وكانت سببا فيما اتهم به من زندقة وكفر ، وفيما أقدم عليه بعد ذلك من حرق لكتبه ضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته انظر اليه يقول "... إنما توجهت من العراق الى هذا الباب ، وزاحمت منتجعى هذا الربيع ، لأتخلص من حرفة الشؤم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة" [٢]

بل أنها كانت سببا فى هروبه الى شيراز مختفيا عن أعين رجال ابن يوسف وزير صمصام الدولة الذى أراد الكيد منه لعلاقته الوطيدة بابن سعدان ، وفى شيراز تردد التوحيدى على الصوفية وعاش معهم وأمضى معهم فترة طويلة من شيخوخته فى التعبد والتنسك والاستغفار الى أن قضى بشيراز ودفن بها عام ٤١٤هـ فكأنه

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية . مادة أبو حيان التوحيدى - المجلد الأول بقلم المستشرق مرجليوث - انظر ايضا ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، جـ ١٥ ص ٦ ، إحسان عباس : أبو حيان التوحيدى ص ٢٧

(٢) يقصد أنه ترك بغداد وذهب الى مدينة "الرى" للاتصال بالوزير الصاحب بن عباد بعد أن خاب أمله فى ابن العميد الوالد وابن العميد الابن (أى فى ابن الفضل وأبى الفتح) آملا أن يجد عنده ما لم يظفر به عند ابن العميد .

عاش معذبا فى دنيا الناس فاقدا إيمانه بالإنسان ، يائسا من خلق الله ولم تعرف قيمته إلا بعد وفاته وكأنه كان على علم بما يمكن أن تؤول اليه مكانته بعد موته إذ تساءل : ما سبب الصيت الذى يتفق لبعضهم بعد موته ، فيعيش خاملا ، ويشتهر ميتا"[١].

أما ثانيهما فهو أبو على أحمد بن محمد مسكويه معاصر التوحيدى الذى ولد بالرى حوالى ٣٢٠ هـ أو ٣٣٠ هـ غير أنه بخلاف التوحيدى نشأ فى أسرة لها مكانة اجتماعية فائقة تتصف بالمجد والخير، إلا أن والده قد مات مبكرا فتحمل أعباء أسرته ورعايتها ، وقد استوعب ثقافة عصره العامة من علوم دينية وغير دينية ، ثم اهتم بعلوم الفلسفة لارتفاع مكانة الفلاسفة عند الأمراء والرؤساء ، كما اهتم بالأدب والتصوف فكأنه قد نهل ثقافة عصره بكل فنونها وروافدها عربية ويونانية وفارسية مما ساعده على أن يتبوأ مكانه ساميه ويحظى برعاية واهتمام وزراء وأمراء الدولة البويهية التى عاش فى كنفها فعمل كاتما لسر وزير الدولة " الحسن بن محمد الأزدى" ، كما عمل خازنا أو أمينا لمكتبة "ابن العميد " ومعلما لابنه "أبى الفضل" ، وقد نال مكانته ووصل الى الرفعة والجاه ليس بالتقرب والزلفى ، ولكن بالجد والهمه والمثابره وحلاوة اللسان ، رغم أن التوحيدى قد اتهمه بالنفاق والتسلق وانفاق زمانه وكد بدنه وقلبه فى خدمة السلطان، بينما امتدحه أبو سليمان السجستانى بقوله "فأما ما سمعته عن مجارى أحواله ، وشاهدته من سيرة الحسن ، وأخلاقه الطاهرة فأفرد فيه رسالة أقصرها على ذلك" .

والواضح أن شخصية مسكويه كانت شخصية سوية مستقرة حتى وان مال فى بعض الأحيان الى حياة اللهو والمجون وعاش حياة عصره الصاخبة بكل ما فيها من لهو وخلاعة ، إلا أنه يعترف بأنه استطاع أن يروض نفسه ويعظمها عن ممارسة تلك الأمور الشاذة ولم يجعل العادة تستحكم فيه[٢] .

وقد جمع بلاط الملك صمصام الدولة بن عضد الدولة كل من مسكويه والتوحيدى فقد كان الوزير ابن سعدان وزير صمصام الدولة صديقا شخصيا لمسكويه ، وربما كانت هذه المكانة التى حظى بها

---

(١) الهوامل والشوامل ، ص ٦٩

(٢) مسكويه : تهذيب الأخلاق ص ٥١-٥٢ وانظر ايضا ط. عبدالمقصود عبدالغنى : الفلسفة الخلقيه ص ١٥٧

مسكويه هى التى أثارت حفيظة التوحيدى عليه فظهر حقده وتكبره عليه .

آثر مسكويه السلامة والبعد عن الصراع ولذلك وجدناه فى كتابه "جاويدان خرد" يدعو الى التقريب بين المذاهب التى طال صراعها واشتد حتى أنه فى هذا الكتاب يمزج نزعات التشيع والتسنن والتصوف والتفلسف ويلتقى مع آراء فلاسفة اليونان وأقوال حكماء الفرس والهند ، واستشهد فيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية [١] .

وقد حاز على شهرة واسعة نظرا لاهتمامه بالاخلاق العملية ، بل أن مؤلفاته الكثيرة المتنوعة تشير الى ما أخذ به نفسه من الجد والاستقامة فى حياته الجديدة بعيدا عن حياة الشهوة واللذة والانحراف قانعا بما قسمه الله له من الرزق راضيا بما قدر له . يشهد على ذلك ما عاهد عليه الله بقوله "هذا ما عاهد عليه الله (أحمد بن محمد) وهو يومئذ آمن فى سربه ، معافى فى جسمه ، عنده قوت يومه ، ... عاهده على أن يجاهد نفسه ويتفقد أمره ما استطاع فيعف ويسجع ويحكم (من الحكمه) ... وعلامة عفته أن يقتصر فى مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعى نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب فى غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته – بقدر طاقته – شىء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولا نفسه ويهذبها ، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التى هى العدالة." وقد وضع وثيقة بها خمسة عشر بابا هدفها تطهير النفس من الرذائل وغرس أسس الفضيلة فيها وربما كان أخطرها ما أشار اليه مسكويه "بكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائمة بين الإنسان ونفسه" [٢]

إذن فنحن أمام شخصيتين متناقضتين إحداهما قلقة جامحة ، ممزقه ، لدى صاحبها إحساس عميق بوجود هوه ساحقه بين عقله وإرادته ، بين علمه وعمله وهذا الاحساس هو المسئول عن شعوره بالذنب، والأخرى متزنة هادئة ، واثقة ، قانعه بما قدره الله له من حظوظ الدنيا ، مؤثرا سعادة مطلقه فى الآخرة .

---

(١) مسكويه : الفرز الأصغر : تقديم د. عبدالفتاح فؤاد ، جـ ٥ ص ١٦

(٢) التوحيدى : المقابسات ص ٣٢٢ وانظر ايضا ياقوت الحموى جـ ٥ – ١٥

وإذا كان التوحيدى قد أفرط فى تدقيق النظر فى أفعال الناس، وبالغ فى تركيز انتباهه على نقائصهم ومعايبهم حتى لقد انتهى به الأمر الى إدانة "الإنسان" بوجه عام إذ قال "الإنسان بشر ، وبنتية متهافته، وطينته منتثره ، وله عادة طالبه ، وحاجه هاتكه ، ونفس جموح، وعين طموح وعقل طفيف ، ورأى ضعيف"[١] فهل كان يصف ذاته التى لم يستطع طوال حياته أن يقف على حقيقتها وكانت سببا فى قلقه وشقائه وتعاسته ؟

وهل كان التوحيدى هو ذلك الإنسان الذى قال فيه سارتر "انه الموجود الذى يشعر بأنه قد وجد جزافا ، أعنى أنه يدرك ذاته بوصفه عبئا لا طائل تحته ويعرف دائما أنه زائد على الحاجة"[٢] أم أنه الذى قال فيه يسكال "ان عظمة الانسان لتبدو بكل جلالها فى كونه يعلم أنه شقى ، ان الشجرة لا تدرك ذاتها بوصفها شقيه ، واذا كان من الشقاء أن يعرف المرء أنه شقى ، فإنه من العظمة أن يدرك المرء ذاته بوصفه كذلك" [٣]

أم كان ذلك الحيوان المتمرد المتحرر الذى صوره "جيته" حين وصف لنا "مفستوفليس" بروحه الهدامه التى لم تكف لحظة عن الإنكار والتى تمثل الإنسان الموجود الحاضر المفكر الذى يملك أكبر قدره على النفى والسلب والإنكار" [٤] .

يبدو أن التوحيدى هو كل هؤلاء فقد اسهب فى الحديث عن نقص الموجود البشرى وتكثره ، وتمزقه ، وانحلاله كأنه كان يعبر تعبيرا دقيقا عن خبايا نفسه ، بل أن تشاؤمه كان قد نبع من شعوره الحاد بما فى ذاته من تناقض ، ولذا فقد كان دائم الخروج على ذاته . وهنا يصبح الحديث عن مشكلة الإنسان (عند مسكويه) أو الانسان المشكلة (عند التوحيدى) من أصعب الأمور التى يتناولها الباحث بالدراسة ، وأنها لمشكلة المشاكل حين أحاول أن أتحدث عن مشكلة الانسان لدى مفكران أحدهما ظل موجودا متناقضا ينكر ما يصرح به، ويصرح بما ينكره حتى ان حياته كانت بمثابة دراما كبرى يصعب على أعتى المفكرين تفسيرها حتى النهاية ، نهاية إحساسه بأن طريق

---

(١) التوحيدى : الامتاع والمؤانسة حـ١ ص ١٤

(٢) زكريا ابراهيم ، مشكلة الانسان ص ٧٠٦

(٣) زكريا ابراهيم ، مشكلة الانسان ص ٩

(٤) زكريا ابراهيم ، مشكلة الانسان ص١٩٧

الخلاص وتحقيق الحرية لن يكون إلا من خلال أفناء الذات ، أما فى طريق ممارسة روحية شاقة شائكة لم يستطع أن يدرك نهايتها ، ولم تصبر عليها نفسه القلقة ، واما عن طريق ابادة ذاته ولم يكن ذلك إلا من خلال حرقة نتاج ذاته وفكره وتاريخه . حتى يشعر فى النهاية أنه حقق حريته ، وانتصر على الآخر ، سواء أكان هذا الآخر ذاته القلقة، أم العالم المضطرب ، أم الواقع المتردى.

وبين مفكرا آخر ارتضى ثقافة عصره المتنوعة ونظر الى الانسان نظرة استاتيكية محددا أنماط سلوكه وقواه وأعماله واضعا عليه من القواعد والمبادىء الاخلاقية ما يمكن أن يهديه الى سواء السبيل .

الانسان إذن هو ذلك المشكل الذى اعتبره التوحيدى هو أساس التفلسف ، وهو ينص صراحة على تقديم مشكلة الانسان على كل ما عداها من مشكلات إذ يقول "زعمت الحكماء على ما أوجدته آراؤها ودياناتها ان من الوحى القديم النازل من الله قوله للإنسان : اعرف نفسك ، فإن عرفتها عرفت الأشياء كلها ، وهذا قول لا شىء أقصر منه لفظا ، ولا أطول منه فائدة ومعنى ، وأول ما يلوح منه الزرايه على من جهل نفسه ، ولم يعرفها ، وأخلق به إذا جهلها ان يكون لما سواها أجهل ، وعن المعرفة أبعد فيصير حينئذ بمنزلة البهائم"[١]

فهل استطاع التوحيدى أن يعرف نفسه وبالتالى يقف على حقيقة الإنسانية ؟ لو عرف التوحيدى حقيقة نفسه لما توجه بسؤاله لمسكويه مستفسرا "هل الإنسان هو ذلك المعلوم ؟ أو أنه ذلك المجهول ؟ ورغم أنه حاول دائما أن يرتبط بالواقع ويرسم للإنسان طريقا ينقذه من السقوط ، مؤكدا أنه المعلوم لنفسه بفهم طبيعته وكشف تناقضه ، إلا أنه فشل فى النهاية أن يقف عند هذا الجانب الذى وقف عنده مسكويه ، وأكد أنه ذلك المجهول بكل خبايا النفس البشرية بأحلامها وطموحها ، بكل أطوار حياتها بمستقبل الإنسان ، وما ينتظره بعد الموت ولهذا قال "وأوسع من هذا الفضاء حديث الإنسان ، فإن الإنسان قد اشكل عليه الإنسان"[٢] .

---

(١) التوحيدى : الاشارات الإلهية ص ٢٧٦

(٢) التوحيدى : الهوامل والشوامل ص ١٨٠

أولا : التوحيدى ومسكويه : حوار العقل أم صراع الفكر؟

يمثل الحوار والتساؤل قمة نضج الفكر الفلسفى وعمقه ، فإذا ما دار الحوار وأثيرت التساؤلات حول الإنسان وهمومه وقضاياه الاخلاقيه والسياسية ، الإنسان فى سلوكياته المتناقضة ، وأفعاله وتصرفاته المتباينة ، الإنسان فى جوانبه الخفيه الغامضة التى تتعدى عالم الواقع الى عالم الما وراء .. ذلك العالم الذى استغلق فهمه على الإنسان منذ بدء الخليقة حتى الآن ... بل أيضا حين يتخطى الحوار والتساؤل نطاق الإنسان الى نطاق المجتمع الذى يعيش فيه بآرائه وأفكاره ومعتقداته وعاداته وممارساته ، لأدركنا أن الحوار والتساؤل لكل منهما لم يكن ترفا فكريا ، أو جدلا عقليا بقدر ما كان محاولة لكشف المجهول ، وحالة مستمرة من التعجب والإندهاش الذى ينضى الى السؤال عن الحكمه أو العله ، أو إمكانية التغيير .... ولأدركنا أيضا أن مشكلة الانسان بكل جوانبها لا يمكن أن تنفصل عن العصر الذى يعيش فيه الإنسان .

وإذا ما علمنا أن الثقافة عندما تزدهر فى مجتمع ما ، فإنها قد تتحول فى لحظة ما وبفعل عوامل كثيرة الى حالة من الاستقرار والسكون الذى يكرس الثبات والتقليد ، فلاشك أن مثل هذه الحالة تهيىء العقول المتمردة ، والنفوس المتعطشة للتغيير الى تحريك المجتمعات ، والتمرد على الثابت من الآراء والأفكار بالحوار الذى يشمل السؤال والتساؤل والإجابات [1] .

ولقد رأيت أن مداخلتى لمشكلة الإنسان عند هذين الفيلسوفين يمكن أن أعرضها فى صورة حوارات وتساؤلات دارت بينهما ، ولربما استطعت أن استخلص من تساؤلات التوحيدى ، وإجابات مسكويه والتوحيدى أيضا كل ما يمكن أن يكشف لنا عن أغوار وخفايا تلك القضية التى مازالت تؤرق المفكرين فى كل مكان وزمان .

صحيح أن الحوار بينهما لم يكن متكافئا على جميع المستويات، فمنهجهما فى طرح القضايا وإثارة المشكلات ، واسلوبهما فى المعالجة يختلف اختلافا جذريا ، فأسئلة التوحيدى تتعجب مما ألفه الناس واعتادوا عليه ، وكانت كثيرا ما تتوقف عند ما درج الناس على

---

(١) د. زكريا ابراهيم : أبو حيان التوحيدى ، ص ١٧٥ ، وانظر ايضا د. حامد طاهر ، فلسفة السؤال والتساؤل عند أبى حيان التوحيدى ، ص ١٣٦ مجلة فصول .

إغفاله أو الانصراف عنه ، بينما اجابات مسكويه وآراؤه عموما لا تخرج عما هو شائع وسائد فى عصره ، وان كانت فى جوهرها وخلاصتها تعبر عن عقلانية ... فهى عقلانية صورية تفسر كل شىء بالتوفيق والتلفيق بين المذاهب المختلفة فى وسطيه أو تعادلية تتسم باليقين الوادع المطلق [١] .

ورغم ذلك فقد وجدت من المبررات ما دفعنى الى تصور هذا الحوار بينهما :

أولا : أنه اذا كان الحوار والتساؤل هو لغة التوحيدى المعتمدة عنده ، وسواء أكان حواره مع ذاته ، أو مع الآخر .. أيا كان هذا الآخر "الله فى مناجاه ورحية عميقه ، أقرانه من المثقفين والأدباء والفلاسفة" وسواء عرضه فى كتبه المختلفة "الهوامل والشوامل - الامتاع والمؤانسة - المقابسات - الإشارات الإلهية ... الخ ، أو اثير فى ندوات ومحافل تضم المثقفين والعلماء والوزراء والأمراء .

فإن مسكويه أيضا لم يعدم تلك الروح التساؤلية التى وضحت فى ثنايا مؤلفاته إذ يتساءل فى "تهذيب الأخلاق" والطريق فى ذلك أن نعرف أولا نفوسنا ما هى ؟ وأى شىء هى ؟ ولأى شىء أوجدت فينا؟... وما قواها وملكاتها ؟ وما الاشياء العائقة لنا عنها ؟ وما الذى يزكيها فتفتلح ، وما الذى يدسيها فتخيب ؟ ويتساءل فى "الفوز الأصغر" عن كيفية حال النفس بعد مفارقتها للبدن ، وما الذى يحصل لها بعد الموت ؟ وكيفية الوحى ، وكيف تدرك النفس المدركات المختلفة .. الخ .

بل أن له مؤلفات خاصة به تحمل صفة التساؤل ، منها أجوبه وأسئلة فى النفس والعقل [٢] وايضا رسالة فى جواب فى سؤال لعلى بن مسكويه الى على بن محمد ابى حيان "التوحيدى" فى حقيقة العدل[٣]

إذن الحوار والتساؤل بينهما لم ينقطع سواء أكان من جانب التوحيدى لمسكويه أو من جانب مسكويه للتوحيدى ، فقد اعتبر كلاهما أن الحوار يصل الناس بعضهم ببعض ، ويثرى جميع الأطراف خاصة اذا كانا يعيشان ثقافة حيه نامية متطوره بحكم تداخل الثقافات والعلوم فى ذلك العصر وتنوعها .

---

(١) د. محمود أمين العالم ، تساؤلات حول تساؤلات الهوامل والشوامل ، ص ١٣٠ ، مجلة فصول

(٢) وهى مخطوطه بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٣٤٠٦٢ وايضا مكتبة راغب باشا رقم ٢٦٠٦٣

(٣) وهى مخطوطة بمكتبة مشهد فى طهران برقم ٤٣ ، لم نستطع الاطلاع عليها .

كما كانا يعيشان أوضاعا سياسية واجتماعية متباينة اتسمت بفساد أخلاقى ، وتناحر سياسى ودينى ، وفوضى اجتماعية ، وكانت لها بالطبع انعكاساتها الخطيرة على الانسان الفرد ، والمجتمع والأمة بأكملها .

ولاشك أن مثل هذه الأوضاع المتباينة من شأنها أن تخلق شخصيات قلقة متمرده ، متحررة تسعى للخروج على المألوف أملا فى واقع مستقر أو مستقبل أفضل ، كما أنه من شأنها أيضا أن تخلق شخصيات حذرة متأنية تحافظ على المستقر من الموروث ، وتأخذ من الوافد ما لا يتعارض معه .

وعموما فكلاهما قد تمتع بروح تساؤلية ، وعقلية متجددة مرنة تتشد المعرفة وتبحث عن الحقيقة دون أن تزعم أنها وجدتها واحتكرتها .

ثانيا : أن حوارا مثمرا وعميقا قد تم بالفعل بين التوحيدى ومسكويه وحفظ لنا التاريخ هذا الحوار الذى ظهر فى مؤلف للتوحيدى ومسكويه يحمل عنوان "الهوامل والشوامل" وبصرف النظر عما أثاره بعض المفكرين من نسبة الكتاب الى التوحيدى وحده لعمق أسئلته وتمردها وتطلعها الى رؤية جديدة حتى أضحت كالإبل الهائمة المشتته التى لا يجمعها ناظم أو نسق ، أو الى مسكويه وحده الذى وضع مقدمة الكتاب وكانت تمثل نسقا ودستورا لتوجيه السلوك وانتقاده كما حملت من الاجابات ما حاول به أن يجمع شتات تلك الأسئلة الهائمة المتناقضة القلقة .

فالحقيقة التى لا جدال فيها هى أن عظمة هذا الحوار إنما تمثلت فيما احتواه من اسئلة وتساؤلات ، وفيما تضمنه من إجابات ، ولولا اسئلة التوحيدى ما كانت اجابات مسكويه[1] .

ثالثا : ان الاثنان يجمعهما اهتمامهما بالانسان ، والبحث فى النزعة الإنسانية المتمحورة حول الذات الانسانية وسعادتها ، والنفاذ الى أعماقها وتصرفاتها وأسرارها ... الخ غير أن الاساس الذى بنى عليه مسكويه رؤيته للإنسان تختلف عن رؤية التوحيدى . فبينما انطلق مسكويه من التركيز على الجانب النفسى والاخلاقى مؤكدا ما ينبغى

---

(١) محمود أمين العالم ، تساؤلات ، ص ١٣١

أن يكون عليه الإنسان ليكون سعيدا ،انطلق التوحيدى من حقيقة الإنسان التعسة ، القلقة ، المتمردة التى جسدها هو نفسه فى حياته فكأنه انطلق من واقع الإنسان ومن حياته المعاشة بالفعل أى مما هو كائن ، لا مما ينبغى أن يكون كما انطلق مسكويه .

إذن كانت المبررات بالنسبة لى مشجعة لكى أعرض حوارهما وآراءهما ولكنى وجدت أن كتاب "الهوامل والشوامل" لا يتضمن كل القضايا الخاصة بالإنسان بل ان رؤيتهما قد إنبثت فى مؤلفاتهما الأخرى وتشتت فيها ، وبينما كان الاطلاع عليها واستخراجها أمرا سهلا ميسورا بالنسبة لمسكويه ، كان ذلك أمرا عسيرا ومشكلة المشاكل بالنسبة للتوحيدى! إذ كيف أميز بين آراء التوحيدى الخاصة به ، وبين آراء من كتب أو نسخ لهم أو استشهد بهم وقد تداخلت الكلمات وتشابكت الأفكار حتى ظن البعض أن التوحيدى يلجأ الى "التقيه" حين يعرض آرائه فينسبها الى شخصيات مجهولة أو عريقة فى القدم أو ليست على قيد الحياه ، خاصة إذا ما كانت تلك الآراء تتصل بنواحى عقيدية أو سياسية . ويؤكد ذلك ما ذكره عبدالكريم الاعسم إذ يقول "... وبالضرورة قد تدأخلت أفكاره بأفكارهم ، حتى صار الباحث الدقيق مهما بلغ إقتداره فى المنهج لا يتحكم دائما بالأفكار فى انتمائها الحقيقى ، أى ما كان لابى حيان بالفعل ، وما كان له بالإنتحال ، ما كان لغيره بالنص المعهود ، و ما كان لهؤلاء بالوضع والإنتساب[١] .

حاولت أن أتأمل ذلك الحوار الذى دار بين التوحيدى ومسكويه بنظرة موضوعية متأملة بعد أن وجدت أن أكثر الباحثين والمفكرين قد أغمطوا حق مسكويه ومكانته الفلسفية فى ذلك الحوار ، واسبغوا على التوحيدى كل ما يمكن أن يضعه فى عداد المبدعين المبتكرين - بل من أصحاب نظريات الحداثة والتجديد ، وفلسفات الوجود [٢] وبدا الأمر كما لو كانوا يبحثون عن شخصيات مبدعه فى تاريخنا العربى الاسلامى بعد أن ضن عليهم بظهور شخصيات معاصرة فوجدوا فيه ما يمكن أن يحقق آمالهم فى التجديد والتطوير خاصة وأن الزمن يشابه الزمن ، والواقع المتردى يناظر سابقه فى كثير من الأمور .

---

(١) عبد الأمير الأعسم : أبو حيان التوحيدى فى كتاب المقابسات ، ص ١٣٩ ، وانظر ايضا محمد بريرى : البعد الإشارى والبعد الرمزى ، مدخل لقراءة خطاب ابى حيان ، ص ٧٤ ، مجلة فصول ص ٧٤ ، ايضا د. زينب الخضيرى ، ابو حيان والبحث عن السعادة ، ص ٣٩ ، مجلة فصول

(٢) انظر : عبدالمجيد الشرفى ، حداثة أبي حيان ، أنور لوقا ، أبو حيان والتعامل مع الحداثة ، مجلة فصول ، وانظر ايضا ماجد يوسف ، أبو حيان التوحيدى ، حوار العقل وسؤال الحرية ، ص ١١٢ ، د. هالة فؤاد ، تحولات حديث الوعى ، ص ٨٩ ، مجلة فصول .

أو أنهم أرادوا أن يعوضوا الرجل عما لحقه فى حياته من سوء الحظ ، وشقاء النفس ، والحرمان من المكانة الأدبية اللامعة ، والقيمة الفكرية المجددة فأغدقوا عليه من المدح والثناء فى مماته ما يمكن أن يضعه فى مكانه لائقه بين مفكرى الأمة العربية وأدبائها . ولربما تنبه التوحيدى الى تلك الملاحظة فساءل فيها صديقه مسكويه "ما سبب الصيت الذى يتفق لبعضهم بعد موته ، وانه يعيش خاملا ويشتهر ميتا ؟؟، وكان أول ما استرعى انتباهى هو التساؤل عن الأسباب التى جعلت التوحيدى يختار مسكويه من بين المفكرين والادباء ليلقى اليه بأسئلته ، ويطلب منه معونته ، هل كان ذلك لمكانته الثقافية ؟ أم لمكانته السياسية ؟ أم للاثنين معا ؟ هل أدرك التوحيدى أن الحوار مع المخالف له فى الاتجاه والاسلوب يبرز آراءه التجديدية أكثر من حواره مع الموافق له كما تقول د. زينب الخضيرى ؟

ثم ما هى طبيعة الحوار بينهما هل كان حوارا متكافئا يدل على سلامة التفكير وعمق التناول ؟ أم كان حوارا غير متكافىء أريد به أن يكشف خبايا النفس وأحقادها فكان صراعا فكريا أكثر منه حوارا عقليا .

تقول د. زينب الخضيرى "ان الحوار بينهما كان غير متكافىء لأنه يلقى بأسئلته على غافل عن مضمون حضارته وجذورها ومقومات وجودها (تقصد مسكويه) بعد أن ذاب وجوده وفكره فى أطروحات المشائية وأصبح من شراحها وكتاب هوامشها ، بينما أراد التوحيدى أن يتخطى نطاق التكرارية التراثية اليونانية التى أصبحت قيدا على العقل العربى الذى أراد له التحرر والانطلاق .

لاشك أن هذا الرأى فيه كثير من التجنى على شخصية مسكويه ، لأن الواضح من نتاجهما أن الثقافات الوافدة كانت المعين الاساسى الذى استقيا منه آرائهما وافكارهما ، غير أن مسكويه قد أحسن عرض بضاعته ، بينما تعثر التوحيدى فى ذلك فترك لنفسه الساخطة التعبير عن ضجرها وسخطها مما لم يتحمله الآخرون وسوف يتبين لنا ذلك من تحليل طبيعة الحوار بينما ، كما سيقودنا حتما الى الاسباب التى وضعت مسكويه فى طريق التوحيدى ليحاوره، فالحوار يدور بين أديب متفلسف أو فيلسوف متأدب وهو "أبو حيان التوحيدى" ، وبين فيلسوف حكيم بليغ صرف جم اهتمامه بالأخلاق فى

جانبها العملى فلقب بالمعلم الثالث نظرا لاهتمامه بالجوانب العملية من أخلاق أرسطو [١] .

أولهما يعتمد على الاحاسيس والمشاعر فى حديثه ، يترك لنفسه الحرية لتعبر ، وتنقد وتسخط ، وتمدح ، وتهجو ... الخ دون قيود ، يغوص فى أغوار النفس البشرية كاشفا حباياها وأسرارها عارضا ذلك بغزير المعانى ودقيق الألفاظ ، مستشهدا بما حوته نفسه وذهى به عقله من أبيات الشعراء ، وتجارب الصوفية وحكايات الأدباء والبلغاء ، بل وحكم وافكار الفلاسفة والحكماء ، مع نصوص واستشهادات من الأديان ، غلب عليه المزاج الحاد ، والمشاعر المتقلبة ، وقد وضح ذلك بصورة فجة فى كل ما تركه لنا من رسائل ومؤلفات ان دلت على شىء فإنما تدل على غزارة فكره وموسعية علمه وان كان غير مرتب أو منظم فهو أبعد ما يكون عن ترتيب الأفكار منطقيا ومنهجيا .

أما الثانى فهو شخصية متزنة ، اهتمت بالفلسفة لأن أهلها كان لهم المقام الأول بين علماء ذلك العصر . ولذلك غلب عليه عمق الفكر ورصانة العبارة واتزان الآراء ونظم الأفكار وقد ساعده على ذلك ما استمده من الثقافة العربية واليونانية والفارسيه وصل الى مكانه عاليه لدى الوزراء والامراء عن طريق الهمه والجد فى العمل وقد ساعدته وظيفته فى خزائن الكتب على تنمية ذخائر فكره وتوسيع ثقافته وعلمه ، كان الكتاب خير صديق له ، ولذلك فقد كثر محبوه وقل باغضوه ، وقنع بما قسم له دون تمرد أو حقد أو حسد . وقد عرف المؤرخون والمترجمون مكانته فوضعوه على قائمة فلاسفة الاخلاق والمصلحين فى الحضارة الاسلامية ، وكان قد نال حظوه عند أصحاب المكانه والسلطة فى حياته .

إذن فنحن أمام شخصيتين متكافئتين فى الفكر والثقافة والمنهج، غير أن التناقض بينهما يكمن فى استخدام كل منهما للعقل بوصفه المعيار الاساسى لهذه الثقافة .

فالعقل عند التوحيدى أفق مفتوح يؤسس للسؤال الدائم عن معنى الحقيقة والذى يرى دائما أنها تتعدد بتعدد وجوهها ، أسئلة متمرده تريد أن تتجاوز الواقع المستقر الى رؤية جديدة .

بينما هو عند مسكويه أفق مغلق يؤسس اجاباته باليقين الوادع محيلا مسائلة دائما الى أقوال نهائية يقينية قائمة على قياس برهانى من

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٥٨ ، ترجمة د. عبدالهادى أبو ريده ، وانظر ايضا د. عبدالعزيز عزت ، ابن مسكويه ، فلسفته الاخلاقية ص ٨٠

منطق أرسطو من ناحية ، وعلى الطبيعة المستقرة للأشياء والعلاقات من ناحية أخرى [١] .

ورغم ذلك - وكما يقول "محمود أمين العالم" - فإن مسكويه يكشف فى متن أجوبته عن رؤيه انسانية متفتحة متحضره تتسم بالعقلانية والتسامح ، واحترام الاختلاف والتنوع ، وتحرص على حق الاجتهاد وضرورته .

وهى بحق نظره موضوعية أرادت أن تضع مسكويه فى مكانته الصحيحة .

وفى اعتقادى أن الخلاف بينهما إنما يعود الى اختلاف شخصية كل منهما ونفسه واسلوب التعبير عنها فى المواقف المختلفة.

فقد كان التوحيدى عنيفا فى ذمه وهجائه ، متطرفا فى مدحه وثنائه ، كثير السخط والشكوى ، بل والافراط فى ذم الناس حتى قال فيهم "انهم سباع ضاريه ، وكلاب عاويه ، وعقارب لساعه ، وأفاع نهاشة"[٢]

ولقد أدرك مسكويه سخطه على الناس ومبالغته فى ذلك ، بل وتبرم الناس به فنهاه عن ذلك فى مفتتح إجابته لهوامله بقوله "فإننى أرى لك إن أحببت معايشة الناس ومخالطتهم وآثرت لذة العمر ، وطيب الحياه ، أن تسامح أخاك ، وتغالط فيه نفسك حتى تغضى له عن كل حق لك ، وترى له عليك ما لا يراه لنفسه"[٣] بل انه دعاه بعد ما رآه من كثرة شكايته وتذمره الى أن ينظر الى كثرة الباكين من حوله ويتأسى ، أو الى الصابرين معه ويتسلى" .

ولكن هيهات ، فلم ينله منه سوى هجاء لاذعا وسخطا عارما خاصة بعد أن علت مكانته وتوطدت صداقته بالوزراء إذ قال عنه فى حضرة ابن سعدان "أنه فقير بين أغنياء ، وعيى بين أبيناء ، لأنه شاذ مع كلفه بالكيمياء ، وأنفاق زمانه وكد بدنه فى خدمة السلطان ، واحتراقه فى البخل بالدانق والقيراط والكسره والحزمة"[٤] .

بل أنه يتهمه بأنه يدعى الحكمه ويتكلم فى الاخلاق ويزيف منها الزائف ويختار منها المختار : فكأنه يتهكم من أسلوبه ومنهجه الفلسفى ويحذره بقوله . فإفطن لأمرك واطلع على سرك[٥] .

---

(١) محمود أمين العالم : تساؤلات حول تساؤلات الهوامل والشوامل ص ١٣٠-١٣١

(٢) التوحيدى : الاشارات الإلهيه ص ٢٨٨ ، وانظر ايضا د. زكريا ابراهيم : أبو حيان التوحيدى ص ٨٠-٨٢

(٣) التوحيدى : الهوامل والشوامل ص ٢

(٤) التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ١ ص ٣٥

(٥) التوحيدى : أخلاق الوزيرين ، ص ٢٤

ليس هذا فحسب ، بل أنه يتهمه بأقذع الصفات من الحسد والحقد والغيرة حتى ليبدو الامر وكأنه يدعو الى استحالة الحوار بينهما ، ولكن ما تمتع به مسكويه من حلم ورزانه ليدل دلالة واضحة على أنه عرف الداء القديم ، والمرض المقيم الذى ملك نفس التوحيدى واستحوذ على كيانه كله .

يثير مسكويه حفيظته على "ابن العميد" الذى أجزل العطاء لأحد المادحين (فقد أعطاه الف دينار) ويقول له لقد أعطى هذا المال الخطير لمن لا يستحق ... ولم يكن رد التوحيدى الا تقريظا لصاحبه فيرد عليه ... أيها الشيخ اسألك عن شيء واحد واصدق ... لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وأضعافه ، واضعاف أضعافه أكنت تتخيله مخطئا مبذرا و مفسدا أو جاهلا بحق المال ؟؟ أو كنت تقول ما أحسن ما فعل وليته أربى [١] .

حاول التوحيدى زعزعة يقين مسكويه بتساؤلاته المتردده حول الآراء والأفكار والمعتقدات ، بل والعادات والممارسات المستقرة الشائعه وكانت إجابات مسكويه تدل على أنه على ثقة ويقين وصواب، بينما التوحيدى يتخبط فى شكه ، وفقدانه الثقة بنفسه وخذلانه وفشله ، ثم أليس التوحيدى هو القائل عن نفسه "ظاهرك أعبث من باطنك ، وباطنك أخبث من ظاهرك ، وأشارتك أنكد من عبارتك ، وعبارتك أفسد من إشارتك وكلك مستغيث من بعضك ، وبعضك هارب من كلك، وليلك يطيح بنهارك ، ونهارك يبرأ الى الله من ليلك" [٢] .

وهكذا فإذا كانت أسئلةالتوحيدى تعبر عن شخصية تفتقد السكينة النفسية ، وعدم القدرة على ضبط النفس والإنفعال ، وسوء التصرف فى المواقف ، فإن أجوبة مسكويه رغم طابعها المدرسى فإنها تكشف عن رؤية انسانية متجددة ، وثراء ثقافى متنوع .. يسأله التوحيدى لم يختلف الفقهاء فى المسأله الواحدة ؟ فيكون رده "ان الاحكام تتغير حسب الزمان ، وبحسب العاده ، وعلى قدر مصالح الناس ، لأن الاحكام موضوعه على العدل الوضعى ، وربما كانت المصلحة اليوم فى شيء ، وغدا فى شيء آخر"[٣] .

وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن حوار الفكر بينهما كان متكافئا الى حد كبير ... فحين يتساءل التوحيدى عن إمكانية تنقل

---

[١] من رسالة التوحيدى الموجهه الى القاضى بن سهل على بن محمد ، ص ٣٥

[٢] التوحيدى : الاشارات الإلهيه ، ص ٢٠٧

[٣] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ١٥٣

الانسان بين المذاهب دون الاستقرار والثبات ... وهو الذى آمن بأن العقل يقبل التعدد ، وقد انتقد النموذج المطلق الذى لا وجود له ألا فى أذهان أصحابه الذين يضعون لكل شيء حدوده الخاصة ... نجد مسكويه يجيبه إجابه واعيه مفادها أنه لو كانت الاقناعات ومراتبها متساويه فى جميع الآراء ، لما أنكرت ما ذكرته ، ولكن وجدت مراتب الادله والاقناعات فيها متفاوته ، فمنها ما يسمى يقينا ، ومنها ما يسمى دليلا وقياسا إقناعيا بحسب مقدمات ذلك القياس ، ومنها ما يسمى ظنا وتخيلا وما أشبه ذلك ... فأنكرت أن تستوى الأحوال فى الآراء مع تفاوت القياسات الموضوعة فيها"[١] .

وهكذا كان التقارب الفكرى بينهما هو الذى ساد فى حوارهما وقد ظهر ذلك بصورة واضحه فى أكثر القضايا التى تناولاها والتى اهتمت بجوانب الانسان المختلفة من أخلاقيه وسياسيه ودينية ... الخ.

وبعد ... فلم يبق لنا بعد أن أثبتنا أن ما جمعهما هو حوار العقل وليس صراع الفكر – لم يبق إلا أن نتساءل عن الاسباب التى جعلت التوحيدى يؤثر مسكويه فى حواره وتساؤله ، بل ويخصص لذلك مؤلفا هاما له هو الهوامل والشوامل كما ذكرنا من قبل ..... ولقد اختلفت الآراء وتعددت الأسباب .

فالبعض يرى أن اختيار التوحيدى مسكويه لمساءلته إنما يخفى وراءه حقدا دفينا وضغينة فى نفسه أراد بها فضح عجز مسكويه الفكرى والاستخفاف به والسخريه منه ، فقد كان مسكويه خازنا للكتب فى خزانة عضد الدولة ، على حين أن التوحيدى – على غزارة علمه، وعمق ثقافته – مجرد ناسخ ساخط ، متأفف على ما يوكل اليه من نسخ المقالات للصاحب بن عباد نظير طعامه وسكنه... ويدللون على ذلك بوصف التوحيدى له بأنه فقير بين أغنياء ... وكان يقصد فقر الفكر وليس فقر المال – وعيى بين أبيناء ، بل يستندون الى وصف ابن سينا له بأنه "عسير الفهم" ونظرا لعدم إقتناع التوحيدى بردود مسكويه واجاباته ، فإنه كان كثيرا ما يجيب هو عن السؤال ، وقد يعيد السؤال مرة أخرى على اساتذته أو نظرائه – كأبى سليمان السجستانى – لعدم ثقته فى مسكويه .

وربما أدرك مسكويه أغراض التوحيدى الخفيه، ولهذا نراه يتهمه مره بأن اسئلته تذهب مذهب الخطابه ولا تعتمد على المنطق – سؤال ٨٦ فى الهوامل والشوامل – أو أنه يخلط بين المسائل الشريفة الصعبه والاخرى السهله ، وأنه يختال بنفسه ويعجب بها الى درجة الافتتان ، وقد عاتبه مسكويه بقوله ، انك والله تأثم فى أمرنا وتقبح فينا" [٢] .

ويرى البعض الآخر أن حرفة نسخ الكتب قد اضنته وارهقت بصره دون أن تدر عليه كسبا مجزيا ، فضاق بها وتاق الى الخروج

---

[١] الهوامل والشوامل ص ٣٦٨

[٢] د. زينب الخضيرى ، ابن حيان والبحث عن السعادة ، ص ٤٤-٤٥

من طبقته الاجتماعية التى لا تتناسب مع رقى علمه ، فبدأ بمحاورة مسكويه وكان له شأن فى ذلك الوقت . فهو فيلسوف رصين تخصص فى علم الاخلاق الذى استمده من أفلاطون وأرسطو وطبقه على الحضارة العربية وعلى تجارب الأمم ، فاجتذبه نجاح مسكويه اجتماعيا وأخلاقيا وصعوده الى أعلى طبقات العلماء ... فقد تولى منصب خازن الكتب ، وخازن بيت المال - ولكى يستأثر التوحيدى بانتباه مسكويه ، ويوثق علاقته به وقف منه موقف طالب المعرفة الذى يريد أن يستزيد من علمه ويتثقف بمعرفته ، ولذلك وجه اليه ما يدور بخلده من أسئله حائره ، ودليلهن على ذلك أن مسكويه لم يرد على اسئلته بكتاب جامع شامل ، وإنما أرسل اليه الاجابات متفرقه ، وحين وردت الى التوحيدى تصرف فى الاسئله ، فهو أحيانا لا يثبتها كما وردت فى الأصل ، وأحيانا يشير الى قسم فيها ويترك الآخر ، وأحيانا أخرى يجيب عنها [١] .

والواقع أننى أرجح الاتجاه الذى يرى أن "كتاب الهوامل والشوامل الذى اختار فيه التوحيدى مسكويه ليسائله إنما يعبر عن مرحله أولى فى حياة التوحيدى ، وهى مرحلة طرح الاسئلة واثارة الاستفهامات ، وتدل هذه المرحلة على تشتت فكر" ابى حيان" بين موضوعات كثيرة فهو يسأل فى كل شيء ... الانسان ، السعادة والتعاسة ، حكمة الوجود - الاخلاق - الصداقه ، النفس - الجبر والاختبار وغيرها من الموضوعات العامة التى لا يحفل بها أحد ، وربما اعتبروها أشياء مألوفة لا تثير انتباههم ، كما تدل على تشككه وريبته فى بعض الأمور الغيبيه ، بل وحرصه على تشكيك الناس فى صحة بعض الوقائع التى درجوا مع اعتبارها مألوفه ، وهى مرحلة كانت تقترن برغبة التوحيدى فى أن يتبوأ مكانه مرموقه فى بلاط الامراء والوزراء ، وينال حظوه بين العلماء كما حدث لكثير من المفكرين والادباء ومنهم مسكويه الذى كان يعبر عن الاتجاه الرسمى فى الدوله بتوليه بعض المناصب القياديه . ودليلنا على ذلك رد مسكويه على اسئلته التى أرسلها اليه بقوله "قرأت مسائلك التى سألتنى أجوبتها فى رسالتك التى بدأت بها فشكوت فيها الزمان ، واستبطأت بها الاخوان ، فوجدتك تشكو الداء القديم والمرض السقيم"[٢] .

وواضح أنه لم يحفل بعطف مسكويه الذى فهم أغراضه الخفيه إذ كان رده عليه " .... إنما تشكو الى شاك وتبكى على باك ، ففى كل حلق شجى ، وفى كل عين قذى ، وكل أحد يلتمس من أخيه ما لا يجده أبدا عنده ، ولو كان حد الصديق مارسمه الحكماء حين قالوا : صديقك آخر هو أنت إلا أنه غيرك بالشخص" [٣] .

---

[١] أحمد أمين : مقدمه الهوامل والشوامل ص ط . وانظر ايضا الكتاب ص ١٤٧

[٢] أحمد أمين : مقدمة الهوامل والشوامل ، ص ى

[٣] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١ ، ٢

ثالثا : حوار النفس وأبعاده المعرفيه والأخلاقيه :

إذا كانت النفس الانسانية ذات أبعاد خفيه وجوانب غامضة فهل المعرفة بها ممكنه ؟ وإذا كان هذا الغموض يكتنف النفس فى جانبها الذى لا يشعر به الانسان فهل يمكن لنا تفسير بعض مظاهرها وما يظهر فى قواها ؟؟

يرد التوحيدى على ذلك بقوله "ولا عجب فلهذا الانسان من هذه النفس والعقل والطبيعه أمور تستنفذ العجب وتحير القلب ، بل أودع هذا الوعاء هذه الطرائف ، وعرضه لهذه الغايات ، وزين ظاهره ، وحسن باطنه وصرفه بين أمن وخوف ، وعدل وحيف ، وحجبه فى أكثر ذلك عن لم وكيف" [١] .

ورغم ذلك فالمعرفة بها ممكنه ، وان كان طريقها شاق وطويل ويحتاج الى فحص ودراسة وتأمل وفى ذلك يقول "بل لن يعرف ذلك إلا اذا طال فحصه ، وزال نقصه ، واشتد فى طلب العلم تشميره ، واتصل فى اقتباس الحكمه رواحه وبكوره ، وكانت الكلمه الحسناء أشرف عنده من الجاريه العذراء ، والمعنى المقوم أحب اليه من المال المكوم ، وعلى قدر عنايته يحظى بشرف الدراسين ، ويتحلى بزينة المحلين" [٢] .

أما مسكويه فيؤكد أنه رغم صعوبة معرفتها فإنها الطريق الوحيد لتفسير كل أمورنا الظاهره والخفيه كالخير والشر ، والمعاد والثواب والعقاب والحريه ... الخ "ان الكلام على النفس ، وتحقيق ماهيتها ، وقسطها من الوجود وبقاءها بعد مفارقتها للبدن أمر مستصعب غامض" [٣] .

أ - معرفة النفس وجوهريتها :

يستهل التوحيدى كلامه عن النفس الانسانيه بقوله "اعرف نفسك فإن عرفتها عرفت الأشياء كلها" وهذا القول كما يرى التوحيدى لاشىء أقصر منه لفظا ، ولاشىء أطول منه فائدة ومعنى ، بحيث ان من جهل نفسه ولم يحاول معرفتها صار حاله أسوأ من حال البهائم ، لأنها لم تشركه فى التمييز ، ولا يشركها فى الجهل [٤] .

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٢٤٢

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٣٧

[٣] مسكويه : الفوز الأصغر ، ص ٢٧

[٤] أبو حيان التوحيدى : الاشارات الإلهيه ، تحقيق د. عبدالرحمن بدوى ص ٣٧٦-٣٧٧

ليس هذا فحسب بل أن التوحيدى يؤكد أن الانسان لم يعرف إلا بالنفس "اعلم أنه ينبغى أن يفهم من قولنا : الانسان ذو نفس ، انه بالنفس إنسان ، لأن الانسان عرف بالنفس أنه انسان ، ومها يزيدك بيانا أنك اذا قلت : ذو نفس ، فقد أضمرت فى الانسان نفسا فى الأول، ثم ميزته بعد بقولك ذو نفس ... وليس الانسان مع النفس ، فإنه لا يملك النفس ، بل النفس تملكه ، ألا ترى أنها تصرفه وتكلفه وتستعمله وتستكمله "[١] .

والتوحيدى يؤكد أن معرفة النفس هى أسمى ضروب المعرفة ومن هنا دارت تساؤلاته حول النفس وكمالها ، وكيف باينت الروح ، وما الفرق بين الأنفس ، بل انه تساءل عن الروح وصفتها ومنفعتها ، والعقل وأنحاؤه وفعله .

ولكنه يرى أن هذا الأمر صعب المنال وليس ميسورا ولأنه لا يعرف كنهها إلا الله الذى ستر سرها عن خلقه ، وما ذلك إلا لأن طبيعة النفس تختلف عن طبيعة الإنسان المركب من نفس وبدن يقول الانسان مركب والنفس بسيطه ، والموجود فى الانسان جزء يسير من النفس البسيطه ، فكيف يدرك جزء منها كلها ، ويقلل منها جمعها ، هذا متعذر ، إن لم يكن محالا وبعيدا ، إن لم يكن معدوما"[٢]

من هنا كان الاعتراف بوجود النفس وبوجدانها - كما يقول التوحيدى - أيسر وأسهل من الفحص عن كنهها وبرهانها .

وهو يحاول أن يصل الى ماهية الانسان من خلال تعريفها بقوله "انها قوه إلهيه بين الطبيعه المصرفه للأسطقسات والعناصر ، والمتهيئة بين العقل المنير لها الطالع عليها الشائع فيها المحيط بها - وكما أن الانسان ذو طبيعه آثارها الظاهر فى بدنه ، كذلك هو ذو نفس ، وكذلك هو ذو عقل" النفس اذن وكما يؤكد روحانيتها هى جوهر باق خالد [٣] . ولكنه جوهر قائم بذاته حال فى البدن وهى سر حياة البدن وهى المحركه له ولا قوام للبدن إلا بها إذ يقول "قد استبان أن النفس هى المحييه المحركه للجسد الذى هو الجوهر ، ولما كان كل محرك للجوهر ، جوهر ، فالنفس اذن جوهر ... وان كانت النفس بها قوى وحياه الجسد فيمتنع ان يكون قوامها بالجسد ، بل بذاتها التى قامت بهاحياة الجسد"[٤] .

---

[١] التوحيدى : المقابسات ، ص ٧٣

[٢] التوحيدى : المقابسات ، ص ٣٤٠

[٣] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ٣ ص ١٠٩

[٤] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ١ ص ٢٠١

ولقد أراد التوحيدى أن يحدد أبعاد النفس المعرفيه والخلقيه ليؤكد انسانية الانسان ففرق تفرقة دقيقة بين النفس والروح فيقول "اتفق العلماء ... على أن الروح جسم لطيف منبعث فى الجسم على خاص فيه ، ولو كان انسان بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق ، بأن كان له روح ولكن لا نفس له"[١] .

ولا شك أن تفرقته الدقيقة بين النفس والروح لتؤكد أن انسانية الانسان انما تكون بالنفس وليس بالروح ، فالروح فى كل الكائنات الحيه ، أما النفس فهى فى الانسان فقط ، وان النفس الغضبيه والشهويه أشد اتصالا بالروح من النفس الناطقة ، وان كانت النفس الناطقة تدبرهما وتأمرهما ، وتنهاهما ، فليس كل ذى روح ذا نفس ، ولكن كل ذى نفس ذو روح[٢] .

يقول التوحيدى "سالت أبا زكريا الصيمرى عن الانسان يقول "حدثتنى نفسى بكذا وكذا ، وحدثت نفسى بكذا وكذا .. هذا فإنى أجد الانسان ونفسه كجارين متلاصقين ، يتلاقيان فيتحدثان ، ويجتمعان فيتحاضران ، وهذا يدل على بينونة بين الانسان ونفسه[٣] .

ان النفس اذن عند التوحيدى تعنى حيه ، وليس من حيث هى جسد ، والانسان هو الوحيد الذى يشعر بانسانيته وذاته بواسطة الفكر الذى يدل على الوجود وبواسطة الفطرة [٤]

واذا كان اهتمام التوحيدى بمعرفة النفس وتحديد ماهيتها من أجل تحديد أبعادها المعرفية والخلقيه ، فإن مسكويه رغم اعترافه بصعوبة معرفة [illegible] ذكرنا يرى أن الكلام على النفس وتحقيق ماهيتها وقسطها من الوجود وبقاءها بعد مفارقتها البدن أمر مستصعب غامض[٥] ، فإنه يؤكد أن اثبات النفس رغم الصعوبة والمشقه هو الطريق الوحيد لاثبات المعاد ، وتحصيل الخلق الفاضل ، كما أننا لا نستطيع تحصيل شىء من العلوم إلا بعد العلم بها . يقول فى الفوز الأصغر" لما كان طريقنا الى المعاد معلقا باثبات النفس وانها ليست بجسم ، وجب أن أبدأ بالكلام فى ذلك[٦] كما يقول "ولعلم النفس شرف على سائر العلوم لأننا لا نقدر أن نحصل شىء من

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ٢ ص ١١٣ ، التوحيدى : المقابسات ، ص ١٥٠

[٢] التوحيدى : المقابسات ، ص٣٧

[٣] التوحيدى : المقابسات ، ص ١٦١-١٦٢

[٤] التوحيدى ، الامتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١١٣ ، ١٤٤ - ١٤٥

[٥] مسكويه : الفوز الاصغر ص ٢٧

[٦] مسكويه : الفوز الأصغر ، ص ٢٧

العلوم إلا بعد العلم بها وحتى فهمنا من علم النفس شيئا على حقه كان ذلك معونه لنا على غيره ، وقد جاء فى الكتب الإلهيه أن من عرف نفسه عرف ربه" [١] الى جانب أنها مدخل ضرورى لعلم الاخلاق يقول فى تهذيب الأخلاق "... والطريق الى ذلك أن نعرف أولا نفوسنا ، ما هى ؟ ولأى شيء أوجدت فينا ؟ وما قواها وملكاتها..؟[٢]

كذلك يوافق التوحيدى فى اثبات جوهرية النفس وأنها ليست جسما بل جوهر بسيط ، روحانى فى لطيف غير مركب ، وذلك لأن النفس تتصور بكل معقول وتقبله قبولا واحدا بالسويه[٣] . ولذلك يثبت بطلان التعريف الارسطى بأنها كمال أول لجسم طبيعى آلى" ويقول "لو كانت النفس العاقله فى البدن كالصوره فى الهيولى ، للزم أن تقوى بقوة البدن وتضعف بضعفه[٤] . وهو فى نفس الوقت يؤكد أن إنسانية الانسان إنما تكون بنفسه وليس ببدنه فهى أشرف جزء فيه ، وهى معدن كل فضيله وان كان الجسد هو أرذل جزأيه وأخسها[٥] .

الحوار إذن متكافىء بين التوحيدى ومسكويه فى أمر النفس وماهيتها وكما هو واضح هو حوار للعقل أكثر منه صراعا للفكر بل أن الحوار يستمر بينهما فى سلاسة وقوه حين يثبت كلاهما للنفس قوى ثلاثة ويحاولان من خلال ذلك الوصول الى طبيعة المعرفة الانسانية ، وماهية الخير والشر بل أيضا إثبات خلود النفس وماهية الميعاد .

ب - قوى النفس مدخل لنظرية المعرفة :

يحدد كل من التوحيدى ومسكويه قوى النفس الثلاث ووظيفة كل قوه ، وإن كان التوحيدى أكثر وضوحا فى أخذه بقضية النفس الواحدة ذات القوى الثلاث كما يقول أرسطو فى كتابه "النفس" ، بينما كان مسكويه متأرجحا بين قول افلاطون بأن النفس الانسانيه تشتمل على ثلاثة أجزاء مختلفة يسمى أحدها النفس الناطقة ، والثانيه النفس الغضبية ، والثالثه النفس الشهوانيه ، كما ذكر فى "جمهوريته المقاله الرابعه" وبين قول "أرسطو فى كتابه النفس بأنها واحدة ذات قوى متعددة .

---

[١] مسكويه : مخطوطه فى اثبات النفس ، لوحة ٦١ أ .

[٢] مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٣-٤

[٣] مسكويه : رسالة فى النفس والعقل : مخطوطه لوحة ٥٧٤

[٤] مسكويه : الفوز الاصغر ، ص ٤١

[٥] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٢٧ ، ٣٥

فمسكويه فى تهذيب الاخلاق يقول "وربما جعلت النفس نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحده ، والنظر فى ذلك ليس يليق بهذا الموضع ، وأنت تكتفى فى تعلم الأخلاق بأنها قوى ثلاث متباينه ، تقوى احداها وتضعف بحسب المزاج أو العاده أو التأديب" [١] .

ولكنه فى موضع آخر من نفس الكتاب يقول "ان هذه الانفس الثلاثه اذا اتصلت صارت شيئا واحدا ، ومع أنها تكون شيئا واحدا فهى باقيه التغاير وباقية القوى ، تثور الواحدة بعد الواحدة حتى كأنها لم تتصل بالأخرى ولم تتحد بها ... وقد تصير فى بعض الأحوال شيئا واحدا ، وفى بعض الأحوال أشياء مختلفة بحسب ما تهيج قوة بعضها أو تسكن"[٢] .

وقد اخذ برأى أرسطو فى الهوامل والشوامل إذ قال "النفس فى الحقيقة واحدة ، وإنما يظهر أثرها بحسب قبول القابل ، وانما قيل أنها ثلاث لأن من شأن الشىء الذى يبدأ أثره ضعيفا ثم يقوى غاية القوه أن ينقسم ثلاثة اقسام : أعنى الابتداء والتوسط والنهايه . ولما كان مبدأ أثر النفس فى النبات أعنى أنه يظهر فيه معنى يقبل الغذاء الموافق وينفض الفضلة وما ليس بموافق ويحفظ صورته بالنوع سمى هذا الطرف الأول نفسا نباتيه ، ثم اما قوى هذا الأمر ... وصارت له حواس وأراده سميت هذه المرتبه المتوسط بالحيوانيه ، ولما قوى هذا الأثر حتى صار يرقى ويفكر ويستعمل التمييز بتقديم المقدمات واستنتاج النتائج ، ثم يعمل أعماله بحسبها سمى ناطقا وعاملا وما أشبه ذلك "[٣] .

ويرى مسكويه أن الانسان بنفسه الناميه وبنفسه المتحركه بالاراده يناسب البهائم ،وبنفسه الناطقه يناسب الملائكه ، فهو إنما فضل وشرف بهذه الاخيره ، وعلى هذا ينبغى أن يعظم الإنسان النفس الناطقة ويستخف بالأخرتين"[٤] .

ويرتب مسكويه هذه النفوس ترتيبا من حيث المنزلة ويوضح من خلاله وظيفة كل نفس فيضع الناطقة فى أشرف منزلة ، ويرى أنها التى يتحرك بها الانسان الى طلب العلوم والمعرفة ، أما النفس الغضبية (أو السبعيه) فهى أوسط النفوس الثلاث وهى التى يتحرك

---

[١] مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ١٦

[٢] مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٥٣ ، وانظر أيضا محمد يوسف موسى : فلسفة الاخلاق فى الاسلام ص ٨٤-٨٥

[٣] مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص٢٥٦-٢٥٧

[٤] مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص١٥١

بها الانسان الى طلب الرئاسات ، ويشتاق الى أنواع الكرامات ، وتعرض له الحميه والأنفه ، ويلتمس العز والمراتب الجليله العاليه ، أما النفس البهيميه فهى أدون النفوس الثلاث ، لأنها تختص بالملذات فى المأكل والمشرب وغيرها ، وهى معنا من أول النشوء ، وقوتها علينا أظهر وغلبتها اشد ولذلك فهى تحتاج الى معالجة شديدة وصبر طويل من أجل كسر حدتها ، وإيهان قوتها[١] .

أما التوحيدى فقد كان واضحا منذ البدايه تأكيده لوحدة النفس وأن لها قوى ثلاث ، وأنه إذا كانت الناطقه تسكن الدماغ ، والغضبية تسكن القلب ، والشهوانيه تسكن الكبد ، فإن وظيفة الناطقة التخيل والاحاطه بالاشياء المسموعة والمبصره ، وبها يكون التمييز بين الاشياء والحفاظ على ما وقع عليه التمييز . وهى عنده كالملك المتحكم العادل ، فإن الغضبية هى التى تطلب الاقتصاص من الظلم والانتقام عند الغضب وفيها تكون الانفه من العار والاناه من الضيم ، وقد شبهها التوحيدى بالجنود الذين يأتمرون بأمر الملك ويدافعون أعداءه ويقومون رعيته ويحمون ثغوره ، بينما نجد وظيفة الشهويه إشباع الغرائز الطبيعية وحب اللذات ومثالها الرعيه الذين يجب أن يكونوا منقادين سلسين الخلق ، طباعهم لينه ، ولديهم رهبه من الملك وجنده متحكمه فيهم[٢] .

ويؤكد التوحيدى على العلاقة المباشرة بين قوى النفس وبين قدرة الانسان على اكتساب المعارف سواء بالحس أو بالعقل أو بالتجربة الانسانية أو بالالهام والحدس واذا كانت قوى النفس تختلف بالأكثر والأقل فى البشر فإن الواقع المعرفى للانسان يختلف ايضا ويفترق الناس الى مذاهب وآراء شتى مما يوحى بأن الحقيقة الكاملة لا تملكها فرقة دون أخرى ، وان كان يؤكد أن الحكمه الإلهيه قد اقتضت أن تكون معرفة الانسان فى أموره موزعه بين الاصابه والخطأ وان الثنة والصواب انما تكون فىمعرفته بالله وتقديسه وتوحيده .

وهكذا فإذا كانت المعرفة عنده هى "الفوز بالقدس" كما قال فى الاشارات الإلهيه ، فهو اذن يتحدث عن معرفة حدسيه الهاميه غايتها الاتصال بالمعروف [٣] .

---

[١] مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٤٧ ، وانظر ايضا الهوامل والشوامل ص ١٤٩-١٥٢

[٢] التوحيدى : الاشارات الإلهيه ، ص ٣٧٧-٣٧٨ ، وانظر ايضا المقابسات ص ١١٩ ، الهوامل والشوامل ص ٨٧ .

[٣] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة حـ١ ص ٢٠٤

واذا كانت هى رأى غير زائل فهى المعرفة الظنية أو سكون الظن كما قال بها الفلاسفه واعتبرها التوحيدى هى ادراك صور الموجودات ولذا كانت اليق بالمحسوسات لأنها تحصل بالرسم ، والرسم مأخوذ من الاعراض والخواص [١] .

وحين سئل عن المعرفة ما هى ؟ فكانت اجابته "ان كانت ضرورة فهى نتيجة للفطرة وان كانت استدلالا فهى ثمرة الفطنة ولابد فيها من البحث الطويل والعريض ، والسماع الواسع الكبير ، لأن النفس الناطقة لا تعطيك مكنون ما فيها إلا بتصفحك كل ما هو دونها من أجلها[٢] .

واذا كانت المعرفة تولد الحق ، والباطل يولد الانكار فإنه يؤكد أنهما (أى المعرفة والنكره- يتعلقان بالحس ويلتصقان بالنفسين الشهويه والغضبيه) [٣] .

ويجيب عن سؤال كيف تعلم النفس الاشياء بقوله "النفس فى الأصل علامة ، والعلم صورتها ، لكنها لابست البدن وصار البدن بها إنسانا ، اعترضت حجب بينها وبين صورتها كثيفة ولطيفة ، فصارت تخرق الحجب بكل ما استطاعت لتصل الى مالها من غيبها فصارت تعلم الماضى بالاستخبار والتعرف والبحث ... وتعلم الآتى بالتلقى والتوقف والتيسير والانذار ...، وتعلم الحاضر بالتعارف والمشاهده ومجال الحس ، وهذه المعلومات كلها زمانيه ولهذا انقسم بين الماضى والآتى والحاضر . فأما ما هو فوق الزمان فإنها تعلمه بالمصادفة الخارجه من الزمان العاليه على حصر الدهر ... وهذا الجزء (يقصد ما فى الزمان) محل الحس من ثبت العقل وخصت مواد العقل بكل ما علق بالموجود الحق (أى ما هو خارج الزمان)[٤].

وهكذا يفرق التوحيدى فى نطاق المعرفة بين ماهو فى نطاق الزمان وهو مختلف النشاطات المعرفية ، وبين ماهو خارج نطاق الزمان وهو من ثبت العقل وموضوعه المبادئ العقلية ، فالمعرفة بالزمان من ناحية ، وهى سبب انقسام الزمان الى ماضى وحاضر ومستقبل [٥]

---

[١] التوحيدى : المقابسات ، ص ٣١٢-٣١٣

[٢] التوحيدى : المقابسات ، ص ٣٦٤

[٣] التوحيد : الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٣

[٤] الامتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٢٠٤

[٥] غانم هنا ، المعرفة والعلم فى فكر أبن حيان التوحيدى - مجلة فصول ص ١٠٦-١٠٨

كما يرجح المعرفة العقلية على المعرفة الحسية وذلك لأن "كل خفى فى ساحةالحس فهو باد فى فضاء العقل ، وكل باد فى فضاء العقل فهو خفى فى ساحة الحس ويشبه العقل بأنه مولى ، والحس عبد [١] .

وهذا يقودنا الى أن التوحيدى يرى نسبية الحقيقة نظرا لنسبية المعرفة الانسانية وبالتالى فقد آمن بالخلاف المشروع بين البشر ، بل اعتبره ضرورة وحق لهم ، كما أعتبر حتمية صيغة الحوار بينهم .

ويؤكد مقولة "على بن أبى طالب" فى الحق والحقيقة "ان الحق لو جاء محضا لما اختلف فيه ذو حجا ، وأن الباطل لو جاء محضا لما اختلف فيه ذو حجا ، لكن أخذ ضغث من هذا وضغث من هذا" ويعلق التوحيدى على تلك المقولة بقوله "ان هذا كلام شريف يحوى معانى سمحه فى العقل ... والحق ليس مختلفا فى نفسه ، بل الناظرون اليه اقتسموا الجهات ، مقابل كل منهم من جهة ماقابله ، وابان عنه تاره بالاشارة اليه ، وتارة بالعبارة عنه ، وظن الظان أن ذلك اختلاف صدر عن الحق ، وإنما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق [٢] .

ورغم إيمان التوحيدى بنسبيه الحقيقة لنقص العقل البشرى ، ونسبيه الخبرات الفرديه ، فإنه يسلم بوجود "مطلق" أو "حقيقة مطلقة" لأنه يرى أن نسبيه المعرفة البشرية تفترض وجود مثل هذا المطلق ، وقد أثبتنا سابقا كيف أنه اعترف بوجود معرفة خارج الزمان ، وان كان يرى أن الحصول عليها لا يتأتى إلا لمن غلب نفسه العقليه على نفسه الشهويه والغضبية وقام بالرياضات العملية والروحية ، فتصل النفس الى درجة من السمو الروحى والكمال الاخلاقى ، تكون بها مهيأة لتقبل الفيوضات الربانيه والمعرفة الذوقيه [٣] . أى أنه يرى أن العقل اذا وصل الى درجة من التهيؤ والاستعداد كان مهيأ للفيوضات الربانية والمعرفة الحدسية .

ولنعرض الآن لرؤية مسكويه فى المعرفة وكيفية اكتسابها ودور النفس وقواها فى الحصول عليها وسنرى كيف أن رؤيته تتفق الى حد كبير مع ما ذكره التوحيدى . يؤكد مسكويه أن النفس تدرك

---

[١] التوحيدى : رسالة الحياة ص ٦٠ - ٦١

[٢] التوحيدى : المقابسات ص ٢٣٣ ، وانظر ايضا د. زكريا ابراهيم : أبو حيان التوحيدى ص ١٧٧ -١٨٥

[٣] التوحيدى : الاشارات الإلهيه ص ١٨١-١٨٥ ، وانظر ايضا ماجد يوسف : ابو حيان التوحيدى ، حوار العقل وسؤال الحرية ، ص ١١٦-١٢٥ مجلة فصول

المحسوسات والمعقولات جميعا بقوه واحده والدليل على ذلك أنه لو وقع حس الانسان فى أحكام خاطئة ، استطاع أن يصححها إما بردها الى ماتحكم به الحواس الاخرى ، واما بردها الى ما يحكم به العقل ، فلو كانت النفس لا تعلم المعقول والمحسوس بقوة واحده – كما يؤكد مسكويه – لما علمت الفرق بينهما ، ولما ردت الجميع الى أمر واحد تجمعه وتحكم فيه حكما واحدا [١] .

ونلاحظ أن مسكويه لم يعول على الحس كثيرا لغلطه من ناحية ، ولأنه لم يوافق أرسطو فى اعتباره أن العقل لا يستفيد علما إذا لم يحس" ، على أساس أنه ان تفكر فهو مضطر مع فكرته الى "الوهم" والتوهم – كما نعلم – طائفة من المحسوس ، ويؤكد مسكويه – فى رده على سؤال "اذا كان الحس يكذب ويغلط .... وكان التخيل فى ذلك على اضعاف ما يمليه الحس من الغلط والكذب ... وكان العقل انما يأخذ ما يأخذه ... عن أحد هذين ، فكيف نأمن فيما نعتقد فى هذه الجواهر ... اذا لم تدرك لهما جزئيات ؟ ان العقل لا يدرك جميع أموره بناء على ما يأخذه من جزئيات الحواس ، بل أن له فعل آخر خاص به ليس بمأخوذ من الحس ، ويميز بين نوعين من المعقولات : كليات الامور المأخوذه من الحواس بالتقاطها من الجزئيات ، والمعقولات الشريفة التى هى بسائط الاشياء وذواتها التى ليست بمحسوسه وكذلك المقدمات الأول[٢] ومن أمثلتها ، ادراك العقل ذاته ، وإدراكه الصانع الأول ، وكذلك المسلمات المنطقيه ، فمثل هذه الأمور وما أشبهها ليست تابعة للحس ولا هى هيولانيه ولا هى ماده ويؤكد أن ادراك النفس لمثل هذه المعقولات غير الهيولانيه لا يكون بالحواس أو توابعها (بل بالعين الباطنه الروحانيه) ويسميها مسكويه بالعلم وفى ذلك يقول "اما الادراك العقلى فليس يحتاج الى شىء من الحواس ، بل للعقل نفسه قوه ذاتيه بها يدرك الاشياء المعقوله"[٣] .

ويوافق مسكويه التوحيدى فى القول بأن معرفة الحواس تكون فى الزمان ، بينما النفس الناطقة تدرك أمورها بلا زمان أو خارج الزمان إذ يقول "ان النفس علامه بالذات ، دراكه للأمور بلا زمان ، وذلك لأنها فوق الطبيعه ، والزمان انما هو تابع للحركة الطبيعية ،

---

[١] مسكويه : الفوز الاصغر ، ص ٣٣-٣٥

[٢] مسكويه : مقاله فى النفس والعقل (مخطوطه) ص ٧٩

[٣] مسكويه : الفوز الأصغر ص ٤٠-٤١ ، الهوامل والشوامل ص ١٣٧، ٣٠٥

فمتى لم تعقها عوائق الهيولى والهيوليات وحجب الحس والمحسوسات ادركت الامور وتجلت لها بلا زمان [١] .

كما يوافقه فى انه فى مكنة الانسان اذا ما ارتقت قواه وملكاته العقلية أن يتخطى حدود الزمان ليصل الى ما يسمى بالروح القدس مصدر الفيض والالهام [٢] . إذ يقول "فاذا جعل الانسان سعيه بما يستفيده من حواسه ، أن يرقيها الى هذه القوه ، ويتحرك أبدا فى طلب اسبابها ومبادئها الاول ، واعطاه العقل حقائقها ، فاستكملت صورة الانسانية فيه ، وتصورت نفسه بحقائق الاشياء ... وتلك الحقائق هى أبدية الوجود ، غير داخله تحت الكون والفساد ، ولا تحت المده والزمان ، لأنها بسائط ومبادىء ... ويلغ الانسان هذه المرتبة متصاعدا فيها الى غاية أفقه التى إن تجاوزها لم يكن انسانا ، بل صار ملكا كريما" [٣]

جـ - ما بين قوى النفس والقيم الاخلاقيه :

اذا كان الحوار بين كل من التوحيدى ومسكويه قد أثبت أن النفس جوهر مختلف عن الجسد ، وأنها قادرة على استيعاب الصور المتضاده ، وأن قواها الشهويه والغضبية لها أهميتها فى كل ما يربط الانسان بالماده والشر ، وأن الناطقه هى القادرة على التمييز بين الحق والباطل بحيث أصبحت فضيلتها طلب المعرفة ، فإنهما يؤكدان أن معرفتها حق المعرفة هى الطريق لتحصيل الخلق الفاضل الذى تنشأ عنه الافعال الجميلة .

(١) تعريف الخلق وعلاقته بالنفس :

يعرف مسكويه الخلق بأنه "حال للنفس داعيه لها الى افعالها من غير فكر ولا رويه ، وهذه الحال تنقسم الى قسمين : منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج ، ومنها ما يكون مستفادا بالعاده والتدريب"[٤]

معنى هذا أن السلوك أو الفعل لا يكون خلقا الا اذا اصبح عاده ثابته راسخه من ناحية ، واذا اداه صاحبه بسهوله ويسر دون تكلف .

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٩٣

[٢] مسكويه : الفوز الاصغر ، ص ٨٣-٨٥

[٣] مسكويه: الفوز الاصغر:ص ٩٠-٩١، وانظر ايضا :التوحيدى: الامتاع والمؤانسة جـ٢ ص ١٠

[٤] مسكويه : تهذيب الاخلاق ، ص ٢١

وان النفس لا تولد على صورة محدده ، وانما هى قابله للتشكل وفق ما يحيط بها من الظروف الخارجية ، وما تنشأ عليه من العادات ، وبذلك يصبح لدى الانسان الاستعداد اما للخير ، أو للشر . والدليل على ذلك أن الله أودع فى النفس الانسانيه فجورها وتقواها ، وما دام لدى الانسان الاستعداد للخلق الحسن أو السيء فالخلق تبعا لذلك ليس فطريا وإنما هو أمر يستطيع الانسان اكتسابه [١] .

والخلق يرتبط عند مسكويه ارتباطا وثيقا بالمزاج وكذلك الحال عند التوحيدى الذى كان يرى أن الخلق الحسن مشتق من الخلق، وكما أنه لا سبيل الى تبديل الخلق ، كذلك لا قدره على تحويل الخلق ، واذا كان مسكويه يرى ان من الناس من هو لين سلس لا يحتاج جهد فى اصلاحه ، ومنهم الصلب الشرس الذى يحتاج الى جهد فى اصلاحه ، واذا أهملت الطباع ، ولم تراض بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على سوء طباعه[٢] .وبالتالى يمكن اصلاح الخلق وتحويل السلوك .

فإن التوحيدى يربط بين الصفات الخلقيه وعللها الفسيولوجية مؤكدا أن من غلبت عليه الحراره فى مزاج القلب فإنه يكون شجاعا بذالا ملتهبا سريع الحركه والغضب قليل الحقد زكى الخاطر حسن الادراك ، ومن غلبت عليه الرطوبه يكون لين الجانب ، سمح النفس سهل التقبل كثير النسيان ، واذا غلبت عليه البيوسه يكون صابرا ثابت الرأى ، صعب القول ، يضبط ويحتد ويمسك ويبخل[٣] . .

ولكن هل يفهم من قول التوحيدى أنه يحكم بثبات أخلاق الانسان ، وانه لا أمل فى اصلاح أو دعوه الى خلق حسن ؟؟ بالطبع لا لإنه يستدرك هذا الكلام بقوله "... لكن الحض على اصلاح الخلق وتهذيب النفس لم يقع من الحكماء بالعناء والتجريف ، بل لمنفعه عظيمه موجوده ظاهره ، ومثاله الحبشى يتدلك بالماء والغسول لا ليستفيد بياضا ، ولكن يستفيد نقاء شبيها بالبياض ، ويقال للمهذار (اكفف) لا ليكف عن النطق ، ولكن ليؤثر الصمت ..."[٤]

---

[١] مسكويه : تهذيب الاخلاق ، ص ٤٢ ، وانظر ايضا د. عبدالمقصود عبدالغنى : الفلسفة الخلقيه فى الاسلام ص ١٦٥-١٦٧

[٢] مسكويه : تهذيب الاخلاق ، ص ٢٨

[٣] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة : جـ ١ ص ١٥٨-١٥٩ ، انظر ايضا د. عاطف العراقى : مفهوم الانسان عند أبى حيان التوحيدى ، مجلس فصول .

[٤] التوحيدى - الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٨-١٤٩

ولكن من الواضح أن حوار مسكويه لم يتوافق مع حوار التوحيدى فيما يتعلق بقضية "الخلق" وهل هو طبيعه فى الانسان أم اكتسابا . فقد اتضح لنا أن مسكويه يؤكد قدرتنا على تحصيل الخلق وقد وضح ذلك من عنوان مؤلفه "تهذيب الاخلاق.. وتطهير الاعراق" الذى حدد فيه الغرض بقوله "ان نحصل لانفسنا خلقا حسنا يطبع سلوكنا بطابعه فتصدر عنا "افعال كلها جميله بلا تكلف ولا مشقه ، بل بصناعة ودرايه ، ووفق ترتيب علمى [١] .

أما التوحيدى الذى بدأ من كلامه أنه يميل الى أن الخلق أقرب الى الطبع الا أنه دعا دائما الى عدم يأس الانسان من اصلاح ما هو غير مستطاع - والدليل على ذلك انه يشير فى رسالة الحياه" "الى الحياه الخامسة وهى حياة الاخلاق التى من هذبها ، ومن تهذب بها ، ونفى خبيثها ، وتحلى بطيبها ، هنأ عيشه ... وصفيت سريرته من الكدر ..... وانما أفرزنا الا[illegible]ق من الديانة والسكينه والعمل الصالح لأن الخلق تابع للخلق بالمضارعه اللفظيه ، وهو ينقسم بين ما يزول بالرياضه كل الزوال ، أو يقل بعض الاقلال ، وبين ما يكون صوره للنفس لا يطمع فى البراءة منه ، والطهاره عنه .."[٢]

(٢) قوى النفس والفضائل والرذائل :

يتفق التوحيدى ومسكويه فى أن قوى النفس الثلاث (الشهويه والغضبيه والعاقله) ترتبط ارتباطا وثيقا بسلوك الانسان الخير والتماس الفضائل أو الشرير والتباس الرذائل . واذا كان مسكويه يرى متابعا "افلاطون" ان امهات الفضائل الخلقيه أربع وهى الحكمه والعفه والشجاعه والعداله ، فإن هذه الفضائل ترتبط بتقسيمه النفس الى قوى ثلاث وهى :

القوة العاقله وفضيلتها الحكمة .

القوة الشهوانيه وفضيلتها العفه .

القوة الغضبية وفضيلتها الشجاعه .

فإذا ما ادت كل قوه وظيفتها على ما يجب أن تكون عليه حصل الانسجام بين القوى الثلاث وظهرت الفضيلة الرابعة وهى العدالة ، وفى ذلك يقول "ولما كانت قوة العقل فضيلتها اسمى من الفضائل الاخرى ، وجب أن تخضع القوتان الاخريان لها ولا تطغيان عليها ، لأنه اذا سادت قوة الغضب دفعت الانسان الى الجموح فى

---

[١] مسكويه : مقدمة تهذيب الاخلاق ، ص ٢٣

[٢] التوحيدى : رسالة الحياه ، ص ٥٧-٥٨

أقواله ، واذا سادت قوة الشهوه وجهته الي الشرور والبؤس ففضيلة هاتين القوتين لا تعتمد الا بفضيلة العقل[١] .

اما التوحيدى فإنه يشير الى هذا المعنى ويتفق مع مسكويه، فى أن النفس قابله للفضائل والرذائل ، والخيرات والشرور ... وان الحيوانيه يصدر منهما للانسان اخلاقا ، وهى لا تستحيل ولا تتغير، والناطقه ايضا اخلاقا نترقى بها وتكمل ، فما أخذ من الاخلاق فى طريق الطهاره والصفاء فهو من قبيل القوى الناطقه ، وما صعب منها ، فهو فى قبيل الحيوانيه ، ويؤكد ان النفس العاقله تنحاز الى العداله وتحاول كبح جماح القوة الشهويه أو القوة الغضبيه .

وإن كانت توابع الغضبية والشهويه أكثر ، فإن ساستهما القوه الناطقة "حذفت زوائد هما ، وفقت فواصلهما ، ونفت نواقصهما ، وذيلت قوالصهما ، أعنى اذا رأت فى الشهويه أخمدت نارها ، واذا وجدت السرف فى الغضبيه قصرت عنانها ، فحينئذ تقومان على الصراط المستقيم فيعود السفه حلما أو تحالما ، والحسد غبطه أو تغابطا ، والغضب كظما أو تكاظما ، والغى رشدا أو تراشدا ، والطيش أناه أو تآنيا" [٢] .

وحوارهما يشير الى أنهما اتفقا على أن العقل أو الحكمه هو فضيلة الفضائل إذ عن طريقه تتحقق العداله وينتفى الظلم ، هو اداه سبر الاغوار ، وكشفل المجهول ، وميزان الحكم ومعيار الحقيقه ووسيلة التفرقه بين الحق والباطل ، الخير والشر ، وانه كما يقول التوحيدى الملك المفزوع اليه ، والحكم المرجوع الى ما لديه فى كل حال عارضه ، وأمر واقع عند حيرة الطالب ولدد المشاغب .... نوره اسطع من نور الشمس ، التكليف تابعه ، والحمد والذم قريناه ، والثواب والعقاب مميزاته ، به ترتبط النعمة ، وتستدفع النقمه ، ويستدام الوارد ، ويتألف الشارد ، ويعرف الماضى ، ويقاس الآتى ، شريعته الصدق ، وأمره المعروف ، وخاصته الاختيار ، ووزيره العلم وظهيره الحلم ، وكثرة الرفق ، وجنده الخيرات ، وحليته الايمان ، وزينته التقوى ، وثمرته اليقين"[٣]

ولا شك أن تساؤل التوحيدى عن السبب فى قتل الانسان نفسه عند اخفاق يتوالى عليه ، وفقر يحوج اليه ... واجابه مسكويه له بأن ذلك انما يرجع الى أن الانسان مركب من ثلاث قوى نفسانيه ، وانه

---

[١] مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ٤٠

[٢] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٧-١٤٨ ، وانظر ايضا المقابسات ص ١٣٨

[٣] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥١

يقف بينها كل واحده منهم تجذبه مره ، وبحسب قوة احداها على الأخرى يتحدد سلوكه ، فاذا جذبته الغاضبة ومال بفعله اليها ، ظهرت قوته كلها كلما غضب واختفت القوى الاخرى ... وهكذا فى الشهويه ، واحصف ما يكون الانسان ، وأحسنه حالا اذا غلبت عليه القوه الناميه ، فإن هذه القوة هى المميزة العاقله التى ترتب القوى الاخرى حتى تظهر بحسب ما تحده وترسمه ... فإذا هاجت بالانسان بعض القوى عند انسداد باب دون مطلب له فيظهر منه ما لا توجبه رويه ، ولا يقتضيه تمييز لخفاء أثر القوه الناطقه[١] فإن هذه الاجابه لتدل دلالة واضحه على عمق الحوار الذى دار بينهما رغم أن حيرة التوحيدى المتأصلة فى نفسه القلقه المتفتحه الى الوقوف على حقائق الاشياء كانت كفيلة بأن تجعل مسكويه يتحاشى الاجابه عن كثير مما أثاره التوحيدى فى ويتنافى فى مع طبيعته المتزنه التى لا تريد أن تخرج على المألوف أو تضعه فى مواقف يكون فيها كالرافض للتراث وما احتواه من قضايا مسلم بها ..

وعموما فكلاهما قد اتفقا على أن العداله هى فضيلة الفضائل وان صعب تحقيقها ، وأن الجور هو رذيلة الرذائل وان ساد وجودها. وان كان التوحيدى يرى أنهما اقرب الى الطبع المكتسبه من الفطره . وهما يظهران فى الأفعال أكثر من ظهورهما فى السلوك [٢] وهنا نراه يسأل مسكويه عن معنى قول الشاعر :

والظلم فى خلق النفوس فإن تجد
ذا عفه فلعله لا يظلم

فيحترس مسكويه من شطح الشعر ، ويلتزم المنطق المستقيم ، ويجيبه "الظلم انحراف عن العدل ... وأما قول الشاعر "والظلم فى خلق النفوس " فمعنى شعرى لا يحتمل من النقد الا قدر ما يليق بصناعة الشعر ، ولو حملنا معانى الشعر على تصحيح الفلسفة ، وتنقيح المنطق ، لكل سليمه [٣] ويؤكد أن العدالة ليست جزءا من الفضيلة ، بل هى الفضيلة كلها [٤] .

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ١ ص ١٥١

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، خلاصة التوحيد ص ١٢٢

[٣] التوحيد : الهوامل والشوامل ص ٨٤-٨٥

[٤] مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٨

(٣) الخير والشر :

يرى التوحيدى انهما مرتبطان بالصواب والخطأ على العموم، وهما يغلبان على الافعال وأن كان احدهما عدما للاخر ، اى اذا كان الشر انعدم الخير ، واذا كان الخير انعدم الشر [١]

واذا كان الانسان عند كلاهما فيه الخير والشر فإن التوحيدى كان أميل الى القول بأن الشر طبيعة غالبة على الشر ويؤكد ان النقص أغلب على الجمهور فى كل حال"والاحسان من الانسان زله ، والجميل منه فلتة،والعدل منه غريب ، والعفه فيه عرض ضعيف [٢] بل انه اعتبر الانسان ذنب لاخيه الانسان فالصداقة والحب والاخلاص اشياء مستحيلة فى الحياه ، لان الانسان مفطور على الشر،لا يعرف الوفاء ،قلبه فاسد ، وعقله غير راجح ، فلا خير فى مخالطة الناس،ولافائدة فى القرب منهم والثقة بهم والاعتماد عليهم [٣]

كانت هذه القضية من أخطر القضايا التى انشغل بها تفكير التوحيدى واستحوزت على اهتمامه ، بل انه أعتبرها من اسرار الكون وخبايا النفس ، واعتبر البحث فيها واجب [٤] حتى انه سأل مسكوية كيف أن الشرير يؤثر فى الخير أسرع من تأثير الخير فى الشرير ؟ وكان رد مسكوية أن النفس الهيولانية الموجودة فينا ــ تقترن بالشر وهو من طباعها أما الخير فهو ما نحاول تعلمه واكتسابه، ولذا كانت محاولة اكتساب الخير تتطلب منا معاناه وتعب اذ ليس يكفينا تحصيل صورته حتى نألفه ، بل لابد وأن نتعود عليه ونكرره زمانا طويلا ليصير ملكه وسجيه بعد ان كان حالا .

اما الشر - فلسنا نحتاج الى تعب فى تحصيله اذا يكفى ان تترك النفس على طبيعتها فتخلو من الخير ،والخلو من الخير من الشر ، واذ ليس الشر بشئ له عين قائمة ، بل هو عدم الخير [٥]

وقد وافقه مسكوية فى هذه القضية الى حد بعيد حتى ان مسكوية قد رد على تساؤلات التوحيدى فى براعة منطقية ، وعمق فلسفى ، ومهاره جدلية رغم ان تساؤلاته كانت تتضمن الاجابة ايضا اذ يقول " لم كان الانسان اذا اراد أن يتخذ عدة أعداء فى ساعة واحدة قدر على ذلك ، واذا قصد اتخاذ صديق لم يستطيع الا بزمان واجتهاد

---

[١] الهوامل والشوامل . خلاصة التوحيدى ص ١٢٢

[٢] التوحيدى : المقابسات ص ١٩٣

[٣] التوحيدى : المقابسات ص ٢٤١

[٤] التوحيدى الهوامل والشوامل ص ٢١٢-٢١٣

[٥] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٢٨

وطاعة وعزم ؟... الا ترى أن الفتق أسهل من الخياطة ، والهدم أيسر من البناء ، والقتل أخف من التربية والاحياء ؟.

ولم يكن جواب مسكوية سوى ترديد لما ذكره التوحيدى اذ قال "انما صار الانسان قادرا على اتخاذ الاعداء بسرعة ، وغير قادر على اتخاذ الاصدقاء الا فى زمان طويل ، وبغرامة كثيرة لان هذا فتق ، وذلك رتق ، وهذا هدم ، وذلك بناء . وسق باقى كلامك فإنه جوابك [١]

وواضح أن التوحيدى يختلف فى حواره مع مسكوية بشأن قضية اولوية الشر على الخير اذا نراه يقرر فى الهوامل والشوامل " ان احساس الانسان بألم يعتريه أشد من أحساسه بعافية تكون فيه [٢] كما ان الشرير يؤثر فى الخير اسرع مما يؤثر فى الخير فى الشرير [٣] ويؤكد سرعة زوال الخير اليقين وعدم اسقرارهما ، بينما الشر والشك اذا عرضا أرسى قواعدهما واربضا .

بل أن التوحيدى يثير سؤالا اساسيا يجعلنا نشك فى مسئولية الانسان عن فعله اذ تساءل هل نحن نبادر الى الخير ، ونتوقى الشر لان ذلك فى جبلتنا وطبعنا وطبيعتنا الانسانية ، أم اننا نفعل ما نفعله من الخير ونحذر ما نحذره من الشر بسبب من عقيدتنا الدينية طمعا فى الجنة (الثواب) وخوفا من النار (العقاب) ؟ وما الرأى فى الزنديق والملحد اللذين لا اعتقاد لهما فى جنة ولا نار ويسارعان الى فعل الخير ؟ ويزيد فى ذلك بأن يستفسر من مسكوية عن الحكمة فى إيلام الاطفال ومن لا عقل له من الحيوان [٤]

صحيح أن هذه المشكلة كما يقول د. أحمد صبحى من أكبر المشكلات التى واجهت الديانات وكانت الديانات مطالبة بالاجابة المقنعة على مثل هذه التساؤلات التى صور الشر الطبيعى والتى تظهر العالم لنا على انه غير مكترث قبل أن تطالب الانسان بأن يكون فى الحياة الاخلاقية فاضلا [٥] ولكنها كانت من الاسئلة التى تدخل فى نطاق الميتافيزيقا والتى يصعب على أى مفكر الوقوف فيها على الحقيقة سوى أن يرجع ذلك الى حكمة الله التى أقتضت ذلك أذ يذكر التوحيدى على لسان السجستانى " ولو علم أن الذى ابتلاه هو

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ص ١٩٠-١٩١

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل : ص ٢٤٥

[٣] التوحيدى : الهوامل والشوامل ص ١٧٦

[٤] التوحيدى : الهوامل والشوامل ص ٣٦٤

[٥] د.أحمد صبحى : الفلسفة الاخلاقية فى الفكر الاسلامى ص ٥١

الذى استصلحه بالبلاء ليكون اذا وهب له العافية شاكرا له عليها بحس صحيح ، وعلم تام لكان لا يرى ما قاله وتوهمه لازما [١]

فاذا كان التوحيدى يشكك فى فعل الانسان للشر أو الظلم عن اختيار وارادة كاملة ، وهل هو من فعل الانسان أم من فعل الطبيعة ، وبالتالى يثير تساؤلا حول مدى مسئولية الانسان عن فعله ويتساءل ان كان الامر جبرا أو هو عارض لا فكاك لصاحبه منه فلماذا يلام؟ واذا كان اختيار ينشئه فى نفسه ويضيق صدره به (هل يكون من هذا وصفه من درجة الكلمة أو قريبا من العقلاء [٢]

فإن مسكويه يحاول أن يهدىء نفسه المتشككه فيؤكد له أن الارادة شرط ضرورى من شروط الفضيلة ، وأننا يمكن أن نربى الارادة على اسس تجعلها ارادة طيبة محبه للخير، عازفه عن الشر ، والانسان لا يمكن أن يحكم عليه بأنه خير أو شرير الا بمقدار ما للاراد من سعى فى تحقيق أو منع ما يتفق وطبيعة الانسان الخاصة باعتباره كائنا عاقلا ، وفى ذلك يقول " فإذن الخيرات هى الامور التى تحصل للانسان بارادته وسعيه فى الامور التى لها وجد الانسان، ومن أجلها خلق ، والشرور هى الامور التى تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه أو كسله أو انصرافه [٣]

وهكذا يكون للارادة عند مسكوية دور كبير فى اكتساب الفضائل وتحقيق الخير ، غير انه يقرنها بضرورة الممارسة حتى تصبح عادة متأصلة فى سلوك الانسان ، اذ كلما قوى فعل الفضيلة ، كلما تأكدت فى النفس ارادة الخير ، والارجح انه يقول بأن كل خلق يمكن تغييره حتى يصبح للشرائع والنصائح والأداب جدوى ، واذا كان مسكوية يقول بأن من الخلق ما يكون طبيعيا من أصل المزاج ، فهذا القول لا يتعارض مع ما أثبتناه سابقا من امكانية التغيير ، لان المزاج ليس من ماهية الانسان حتى لا يتغير ، بل هو حالة للجسم نتيجة عوامل مختلفة وخاضعة للارادة ، فيتغير اذا بفعل التربية[٤]

ولنتساءل الان كيف نظر كل منهما الى سعادة الانسان وكيف يمكن تحقيقها .

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٨٩ - ١٩٠

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل : ص ٧٠

[٣] مسكوية : تهذيب الاخلاق ،ص١٣ ، وانظر ايضا د. عبدالمقصود عبدالغنى ، الفلسفة الخلقية فى الاسلام ، ص ١٩٧

[٤] د. محمد يوسف موسى ، فلسفة الاخلاق فى الاسلام ، ص ٨٣-٨٤

(٤) الانسان وتحقيق السعادة :

ينطلق التوحيدى فى اثباته سعادة الانسان اتجاها يخلف ما سار عليه مسكوية فهو يرفض التصور الاسلامى للسعادة،ذلك التصور الذى يجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة فى وسطيه معتدلة وهو ما يقبله ويؤكد عليه مسكوية الذى يرى أن السعادة كل موجود انما هى فى صدور افعاله على نحو تام كامل،وان تكون هذه الافعال قائمة على التميز ، والروية ، والحكمة بجزئيها النظرى والعملى،فمن اراد استكمال نفسه فعليه باستكمال هذين الجزئين، فالحكمة النظرية يتم استكمالها بدراسة جميع علوم ، ومعرفة جميع الموجودات حتى يتجلى له المطلوب الاخير،وهو المبدع لجميع الموجودات،وتحصيل الجزء العملى من الحكمة يتم دراسة كتب الاخلاق التى تتهذب بها النفس ، ويتم بها الكمال الخلقى وذلك " بترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا تتغالب،وحتى تتسالم هذه القوى فيه،وتصدر افعاله كلها بحسب قوته المميزة منتظمة ومرتبه كما ينبغى"[١] فإذا استكمل الانسان هذين الجزئين من الحكمة،فقد سعد السعادة التامة[٢]

أن السعادة القصوى فى رأى مسكوية - انما تتحقق اذا ارتقى الانسان من معرفة الموجودات الى معرفة الله تعالى،ومن يصل الى هذه المرتبة يكون هو السعيد التام الذى توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانية بين الملا الاعلى ، يستمد منه لطائف الحكمة ، ويستنير بالنور الالهى ، ويستزيد من فضائله بحسب عنايته بها ، وقلة عوائقه منها [٣]

فكأن مسكوية يشير الى اننا يجب أن نحمى أنفسنا من شواغل الحواس وما تؤدى اليه مدركاتها من تنشيط النفسين الشهوية والغضبية حتى لا تستهوينا اللذات المادية وعوقنا عن ادراك المعقولات الصحيحة وتعطل النفس الناطقة عن تحقيق كمالها وبلوغ سعادتها [٤]

---

[١] مسكوية : تهذيب الاخلاق ، ص ٣٣

[٢] مسكوية : الفوز الاصغر ، ص ٩٧

[٣] مسكوية : الفوز الاصغر ، ص ٧١

[٤] مسكوية : الفوز الاصغر ، ص ٧٧ ، وانظر ايضا د. محمد عثمان نجاتى : الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ٨١-٨٣

اما التوحيدى فإنه بداية يفرق بين نوعين من السعادة : احدهما السعادة العظمى فى العقبى أو الآخر [١]

ولما كانت الدنيا فى نظره شقاء وملل وعلل فلا يرجى من ورائها سعادة ، بل السعيد هو من ينجو منها ، ولن يتحقق له ذلك إلا بالزهد فيها فينال سعادة الآخرة يقول فى الامتاع والمؤانسة ، نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ، ووصل الى خيرات الآخره من كان من الزاهدين " فهل حقق التوحيدى سعادته التى ظل طوال حياته يسعى لينالها .؟ وهل فعلا كان يؤثر سعادة الأخره على سعادة الدينا ؟؟؟[٢]

ورغم هذه الروح الـ ماؤميه [illegible] السعادة فإنه رأى أن تكامل الجانب العلمى مع الجانب العملى أى ارتباط الفكر بالسلوك ربما يقودنا الى تحقيق تلك السعادة الدنيوية [٣]

ولقد أدرك التوحيدى بعد طول شقاء ان المشكلة الحقيقية تكمن فى طبيعة الانسان المزدوجة ، فهو يعشق السعادة ويحبها ، هكذا خلقه الله ساعيا وراء اشباع ما تستلذ به قواه الشهوية والغضبيه فيحقق سعادته العاجلة ، فإذا لم يحظى الانسان بها شعر بالظلم والبؤس والتعاسة ليس هذا فحسب ، بل أن الله قد خلقنا نحب الدنيا وما تتيحه لنا من سعادة وهذا الحب مبثوث فى طبيعتنا المادية ، ورغم ذلك يأتى تكليف الله ليقمع هذا الحب ويصرفنا عن الاهتمام بالدنيا . فكانت الشرائع والرسل والانبياء داعية الانسان فى كل مكان الى مجافاة طبيعته المادية ، وايثار طبيعته الروحية ، ولانها لا تستطيع وحدها كبح جماح النفس المادية ، كانت سلطة القمع السياسى

كانت هذه المشكلة تؤرق التوحيدى الى درجة أنه ساءل فيها مسكوية ولم ينتظر اجاباته فأجاب بقوله " ما العله فى حب العاجلة ؟ الا ترى الله تعالى يقول " كلا بل تحبون العاجلة .." ومن أجل هذا المعنى ثارت الفتن واستحالت الاحوال وحارت العقول ، وأحتيج الى الانبياء والسياسة ، والمقامع ، والمواعظ ، فاذا كان حب العاجلة طباعا ، ومبذورا فى الطينه ، ومصوغا فى الصيغة ، فكيف يستطاع نفيه ومزايلته ؟ وكيف يرد التكليف بخلاف ما فى الطبيعة ؟ اليست الشريعة مقوية للطبيعة ؟ [٤]

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة : جـ ٢ ص ١١٨

[٢] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١

[٣] د. عاطف العراقى : مفهوم الانسان عند ابى حيان التوحيدى ، مجلة فصول ، ص٢٩

[٤] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٤٧

إذن لن تتحقق السعاد عند التوحيدى الا لقلة قليلة من البشر استطاعت أن تنجح فى استكمال نفسها لتحقيق الجانب السامى فى ذاتها ، اذ أن تعاسة الانسان وعدم تحقيقه السعادة التامة تأتى من عجزه عن التوفيق بين الجانبين ، الجانب المادى والجانب الروحى ،بين الحاح شهواته ، والسعى فى طلب المنزلة عند الله ، بين العمل للدنيا والعمل للآخره ، وهو ما اشار عليه به مسكوية ولكنه لم يأنس به ولم يرض موافقته، وعاش حتى آخر عمره يأمل فى سعادة وجد وأنها لن تتحقق فى الدنيا فأثر الاخرة قولا وليس فعلا اذ يقول " الغبطة(السعادة) فى النجوه من هذه الدار التى قد ضربت على غصب الالباب من أربابها ...الى محل لا ألم فيه ولا أذى ... الى محل تجد فيه النعيم صافيا، والحق باديا ، الى محل لا يعتريك فيه ملل ، ولا ينتابك فيه علل .. حيث يحكمك المولى فتتحكم ، ويدينك الى حضرته فتنعم [١]

وقد انتهت رحلة التوحيدى كما تقول د. زينب الخضيرى بالغربة المطلقة ، والعزلة الموحشة واليأس المقنط ، ولم يستطع أن يتواصل مع الناس ، ولا أن يرضى بما قدره الله له ، فأنقسم على ذاته وعاش فى بؤس وشقاء [٢] وقد ادرك ذلك مسكويه فكان تعقيبه عليه " وانت لم تجد من نفسك ـ وهى أخص الاشياء بك ـ مساعدة على رضاك ... فكيف تلتمسها من غيرك ، وتطلبها من سواك [٣]

ثالثا : مشكلة الانسان وابعادها السياسية عند التوحيدى ومسكوية :

بالطبع لن نجد عند التوحيدى أو مسكوية مذهبا سياسيا متكاملا، وانما نجد لديهما خطوات سياسية ، واصداء انعكاسات أنظمة سلطويه كان لها شأنها فى تغيير قيم الحياة السياسيا واخلاقيا ، بل سنجد تأملات اتسمت بطابع التساؤل والاستفهام اكثر مما هى اجابات نهائية أو حلول حاسمه لمشكلات قائمة وبينما كان التوحيدى يمثل حركة التنوير التى نادت بحرية الفكر بعيدا عن سلطة دينية أو سياسية ، وكانت عقليته تمثل امتزاج الفكروتنوعه ولذلك لم تكن له رؤية تقليدية متأثره بأصولية فكرية أو دينية بل كانت له عقلية تجديدية متحرره كانت رؤية مسكوية رؤية تعبر عن ثقافات الشعوب وتعرضها عرضا مدرسيا يؤصل الساند ويدعو الى مسايرته ، ويتحفظ من الجديد مخافة عواقبه .

---

[١] التوحيدى : الاشارات الالهية ، جـ ١ ص ٣٥٨

[٢] د. زينب الخضيرى : ابو حيان التوحيدى والبحث عن السعادة : مجلة فصول ص ٤٥

[٣] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٣

إن اول ما يلفت انتباهـا الـى نوعـة التوحيـدى ومسـكوية السياسية هى قلة احتفائهما بالفوارق العنصرية ، والخلافات الجنسية بين عناصر الامة الاسلامية ، فلا فرق بين فارسى وعربى ، ولا موضع لتفضيل انسان على اخر لأصله وعنصره فقد سأل الوزير ابن العارض الشيرازى التوحيدى " أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب " ويحاول التوحيدى ان يصرف أهتمام الوزير بالفوارق العامة ولكنه يشير الى فضائل مأثورة تنسب فى العادة الى كل امة من الامم المشهورة وليست للافراد " العرب اعقل الامم بصحة الفطرة واعتدال البنيه ، وصواب الفكر وذكاء الفهم " ويعقب التوحيدى ورغم ذلك فلكل امة فضائلها ورذائلها ، ومحاسنها ومساوئها بدليل أن الفرس لا تخلو من جاهل بالسياسة ، خال من الادب ، داخل فى الرعاع والهمج ، كما أن العرب لا تخلو من جبان جاهل طياش بخيل عيى " [١]

ويبدو أنه سأم ماساد عصره من عصبية ونزاع فنجد التوحيدى يشكو من ذلك الى الله بقوله " الى الله عز وجل اشكو عصرنا وعلماءنا وطالبى العلم منا ، فإنه قد دب فيهم داء الحمية واستولى عليهم فساد العصبية " [٢] أما مسكوية فقد شاركه فى الدعوه الى اطراح العصبية كرد فعل للصراع الحضارى العنيف بين عناصر السكانية [٣]

ورغم ذلك فالحقيقة ان التوحيدى لم يكن يملك من الخصائص والصفات ما يؤهله لتبوأ المراكز السياسية او حتى يحظى برضى أهل الرئاسة والسياسة فى عصره كما حظى بها مسكوية فلم يكن يتمع ـ كما يقول د. زكريا ابراهيم ـ بقدر كبير من اللباقة فى معاملة الرؤساء والوزراء ، فضلا عن انه كان معتدا بنفسه الى الحد الذى كان يجرح شعور اصحاب السلطة من ذوى الجاه والابهة وليس " مثالب الوزيرين " سوى الترجمة الحقيقة التى بثها التوحيدى فى هذا الكتاب والتى كانت تعبر عن موقفه من رجال السلطة والسياسة عامة [٤] ولا يمكن أن تخفى مآربه الشخصية فى انه كان يسعى اما الى المال والشهرة ، واما الى المكانة السياسية وهو الذى كان يرأى الرئاسة " أن يكون باب الرئيس مفتوحا ، ومجلسه مغشيا ، وخيره

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ١ ص ٧٣-٧٤

[٢] التوحيد : البصائر والذخائر ، جـ ١ ص ٤٠٥

[٣] مسكوية : تهذيب الاخلاق ، ص ٢٠٧

[٤] التوحيدى : مثالب الوزيرين : ص ١١-١٢ ، د. زكريا ابراهيم : ابو حيان التوحيدى ، ص٤٥

مدركا ، واحسانه فائضا ، ووجهه مبسوطا ، وكنفه مزورا ، وخادمه مؤديا ، وحاجبه كريما " وحين أعيته الحيل فى الوصول الى ما اراد سأل صديقه مسكوية ما السبب فى محبة الانسان الرئاسة ... ولم أفرط بعضهم فى طلبها ، حتى تلقى الاسنه بنحره ، وواجه المرهفات بصدره ، وحتى هجر من أجلها الوساد ، وودع بسببها الرقاد ، وطوى المهامة والبلاد ؟

ويرد عليه مسكوية بأنه اذا كان فى الانسان ثلاث قوى وهى الناطقة ، والبهيمية ، والغضبيه ... فإنه بالغضبية يتحرك الى طلب الرئاسات ، ويشتاق الى أنواع الكرامات ... ويلتمس العز والمراتب الجليلة العاليه .. فمحبة الانسان للرئاسة أمر طبيعى له ، ولكن يجب أن تكون مقومه ، لتكون فى موضعها وكما ينبغى ، فإن زادت أو نقصت فى انسان لاجل مزاج أو عادة سيئة وجب عليه أن يعدلها بالتأديب ، ليتحرك كما ينبغى ، وعلى ما ينبغى ، وفى الوقت الذى ينبغى [١]

ولم يع درس استاذه أبا سليمان السجستانى حين قال ان الله بقدر ما يعطى من الحكمه يمنع الرزق ، لأن العلم والمال كغريمين قلما يجتمعان ويصطلحان " [٢] ، وكان دائما يشكو الحال ويتبرم به وقد سمعه يوما أحد الفلاسفه يكثر من الشكوى فقال له " يا هذا ، أنت قليل الملك ، كثير الرزق ، وكم من كثير الملك ، قليل الرزق ، احمد الله عز وجل " [٣]

عاش التوحيدى اذن عصر يموج بالصراع والفساد اجتماعيا وسياسيا وكل ما فيه ينبو عن مفاسد وصراع حتى نظرائه من الناس فقد كانوا بالنسبة له" سباع ضاريه، وكلاب عاويه ، وعقارب لساعه ، وأفاع نهاشه " .

ورغم انه حاول الانفصال والتعالى بآرائه وأفكاره عن العامة من الناس خاصة حين طلب منه ابن سعدان أن يتبسط معهم وينزل اليهم وكان حديثه فى القضاء والقدر بقوله " هذا فيه حسن ، واظنك لو تصديت للقصص والكلام على الجميع لكان لك حظ وافر من السامعين العاملين والخاضعين والمحافظين "[٤] إلا ان موقفه من أهل السلطان ، ورفضه لكثير مما يحيط بهم من مظاهر خداعه وفحش

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٩٤

[٢] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ٢ ص ٢٩

[٣] الهوامل والشوامل ، ص ١١٥

[٤] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ١ ص ٢٢٥

ليدل دلاله واضحه على احساسه بما كانت تعانيه الجماهير والعامة من ظلم وبؤس . وليس أدل على ذلك من سؤاله مسكويه "لم اذا عرفت العامة حال الملك فى إيثار اللذه ، وانهماكه على الشهوه ، واسترساله فى هوى النفس استهانت به ، وان كان سفاكا للدماء ، قتالا للنفوس ، ظلوما لناس ، مزيلا للنعم ؟ واذا عرفت منه العقل والفضل والجد هابته وجمعت اطرافها منه ؟

أجاب مسكويه اجابة لا ينصرف فيها الجانب الاخلاقى عن الجانب السياسى ولم يكن فى ذلك بعيدا عن التوحيدى اذ عرف الملك او السياسة بأنها " صناعة مقومه للمدنية ، حامله للناس على مصالحهم من شرائعهم وسياساتهم بالايثار ، وبالاكراه ، وحافظة لمراتب الناس ومعايشهم لتجرى على أفضل ما يمكن ان تجرى عليه، واذا كانت هذه الصناعة فى هذه الدرجة من العلو ينبغى أن يكون صاحبها أو الحاكم مقتنيا للفضائل كلها فى نفسه ، لانه ان لم يقوم نفسه ، لم يقوم غيره "

انه كما يقول مسكويه - يروض نفسه الشهويه بالعفه ، ويقوم الغضبيه حتى تعتدل فى طلب الكرامة ، واحتمال الاذى ، والصبر على الهوان ... واذا اعتدلت هاتان القوتان فى الانسان فكانت حركتهما معتدله من غير افراط ولا تقصير حصلت له العدالة التى هى ثمرة الفضائل كلها.وبحصول هذه الفضائل تقوى النفس الناطقة ، وتستمر للانسان الصورة الكمالية التى يستحق بها أن يكون سانس مدينه أو مدير بلد .

فإذا لم يستطع أن يصل الى هذه الدرجة فينبغى حينئذ أن يكون مسوسا بغيره ، مدبرا بمن يقومه ويعد له [١]

فإن كان الملك ذا بطش شديد ، وعسف كثير بسفك الدماء ، وينتهك الحرم ، فهذه الاشياء تناقض شروط الرئاسة والملك ، وهى تنقصه ولا تزيده فيسقط من عين رعيته ومثله - كما يقول مسكويه - مثل الطبيب الذى يدعى علاج جميع العلل ، وهو فى نفس الوقت سقيم مختلف المزاج بسوء التدبير ، ومن يعجز عن اصلاح بدنه ، لا ينتظر منه اصلاح غيره [٢]

ويتفق التوحيدى مع مسكويه فى ضرورة تمسك الحاكم بالدين، والتأكيد على أهمية الشورى من الثقاه وأهل الخبرة والمعرفة، لا أهل النفاق والمصلحة أذ يوجه التوحيدى نصائحه الى الوزير بقوله

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٧٠

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٧١

" وآخر ما أقول أيها الوزير : " مر بالصدقات فإنها مجلبه السلامات والكرامات ، مرفعه للمكاره والافات ، واهجر الشراب ، وأدم النظر فى المصحف ، وافرغ الى الله فى الاستخاره ، والى الثقات بالاستشاره ، ولا تبخل على نفسك برأى غيرك وان كان خاملا فى نفسك ، قليلا فى عينك ، فإن الرأى كالدرة التى ربما وجدت فى الطريق وفى المزبله " [١]

لم يبق لنا إلا أن نتساءل عن رأى التوحيدى فى مسالة الخلافة حاصة وانه قد وضع رسالة " السقيفة " وهى الرسالة التى توضح معاداته للتشيع وموقفه المناهض للروافض فهى تعكس موقفه السياسى وهى ايضا مرأه ينعكس عليها العصر بصراعاته السياسية خصوصا بين الشيعه والسنه فى عهد بنى بويه فإذا وضعنا فى اعتبارنا عداوته للوزيرين " الصاحب بن عباد ، وابن العميد " وكانا من أكابر الشيعه فى القرن الرابع الهجرى وهو القرن الذى طبع فيه التشيع الحركة الفكرية والثقافية بطابعه الخاص ، بل كان قرن الحركات الفكرية وتنوع الثقافات وتلاقحها [٢] لادركنا الهدف من هذه الرسالة التى قدمها لنا .

فقد عاصر التوحيدى قيام دولتين شيعتين نشأت احدهما فى نهاية القرن الثالث وهى دولة بنى حمدان العربية ، والاخرى فى اوائل الرابع الهجرى وهى دولة بنى حمدان الفارسية وكانتا من الشيعه الاثناعشرية ، وكان الصاحب بن عباد ، وابن العميد وزيرين فى الدولة البويهيه وكلاهما من المهتمين بالادب وأهله وقد صور لنا مسكويه ابن العميد " فى كتابه تجارب الامم تصويرا رائعا يدل على مكانته العظيمة فى نفسه اذ قربه اليه وجعله قيما على خزانة كتبه مما اشعل حفيظة التوحيدى وكان كثيرا ما يهزأ بمسكويه ويعيب عليه بأنه يفسد كلامه وقوله بكثرة ذكره [٣]

فرسالة التوحيدى اذن تتضمن ردودا كلامية وسياسية على الصاحب بن عباد وكأن الرسالة محاولة لتبرئه ساحة الشيخين : ابى بكر وعمر واصفاء صفة الشرعيه الدينية على خلافتهما ، وتبرير الطريقة التى تمت بها مبايعتهما وهى الاجماع . وجواز إمامة المفضول مع وجود الافضل .

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة : جـ ٣ ص ٢٢٤ -٢٢٥

[٢] ادم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة د. عبدالهادى ابوريدة جـ٢

[٣] التوحيدى : رسالة فى الصداقة والصديق

ولعلنا نلاحظ جراته فى الرد على تساؤل الوزير " ابن عبدالله العارض " حول السبب فى تطاول الامويين على الخلافة مع بعدهم من رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرب بنى هاشم منه ؟

يتضمن جواب التوحيدى توجيه قدرا من المسئولية الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لتمكينه لكثير من الامويين قبل وفاته ، وكذلك لنقده للعباس ولعلى رضى الله عنهما لخلافهما الذى فتح الباب للخلاف ، وما جره ذلك من ظهور الفرق والصراع بينها[١]

وواضح أن التوحيدى ربما يكون المفكر السياسى الوحيد الذى ركز على طموحات " الامام على " السياسية معزوله عن فكرة الامامه ووضع نصا نادرا يشير الى دهاء على السياسى فى منع العباس من حسم القضية فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأن العباس قد اقتراح على " على رضى الله عنه " أن يذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الاخير فرفض على وبرر ذلك فى كلمة نسبها التوحيدى الى القعقاع بن عمرو : " قال القعقاع : قال أمير المؤمنين على ابن ابى طالب ، فى جوابه لى:لو فعلنا ذلك نجعلها فى غيرنا بعد كلامنا،لم ندخل فيها أبدا، فأحببت أن أكف،فإن جعلها فينا،فهو الذى نريد،وان جعلها فى غيرنا،كان رجاء من طلب ذلك منا ممدودا،ولم ينقطع منا ولا من الناس[٢]

كان موقفه السياسى اذن فى رسالة التقيفه معاد للتشيع ورغم انه ينسب أرائها الى استاذه القاضى ابى حامد المروروذى ، الذى كان كثيرا ما ينسب اليه اقواله التى يكره أن تنسب اليه كما يؤكد ابن ابى الحديد [٣] وفى هذه الرسالة نستنتج عدة امور صارت دعائم اساسية لاى نظام سياسى منها :

١- ان الخلافة تكليف وليس تشريفا
٢- الخلافة لمن قيل له هى لك لا لمن يقول هى لى ... هى لمن تقاد اليه ، لا لمن يتطلع اليها
٣- مسايرة اجماع الامه فى الاختيار وعدم الخروج على الشرعيه والاجماع

---

[١] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧٣ ، وانظر ايضا : حسن الملطاوى ، الله والانسان فى فلسفة ابن حيان التوحيدى ص ٤٦٤-٤٦٥

[٢] محيى الدين الاذقانى : منطق السلطة وهواجس المثقفين ، ثنائية التمرد والاستسلام فى تجربة ابى حيان التوحيدى، ص ٨٢-٨٦ ، مجلة فصول ، وانظر النص : الامتاع والمؤانسة جـ٢ ص ٥٧

[٣] ابن ابى الحديد : شرح نهج البلاغة ، جـ ٢ ص ٥٩٢

٤- أن اختيار الخليفة ابو بكر تم عن اقتناع من الجميع ولم يثب الى الخلافة . كما يشير الى ذلك عمر بن الخطاب ـ والخلافة ليست وراثه و إلا أصبحت ككسرويه كسرى، وقيصرية قيصر وهو مالا يرضى عنه الاسلام ، والقرب ليس قربا دمويا وانما قرب الروح والنفس وهو ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يختار ابا بكر [١]

وعموما فإننا نستطيع القول بأنه رغم رؤية التوحيدى التنويرية وآرائه الجرئيئه فى المجال السياسى الا اننا نلاحظ من خلال مناقشاته وخاصة فى " الامتاع والمؤانسة " رفضه لفصل السياسة عن الدين ويقول فى اجابة له " ان الناظر فى احوال الناس ينبغى أن يكون قائما بأحكام الشريعة ، حاملا للصغير والكبير على طرائقهما المعروفه لان الشريعة سياسة الله فى الخلق ، والملك سياسة الناس للناس ، على أن الشريعة متى خلت من السياسة كانت ناقصة ، والسياسة متى عريت من الشريعة كانت ناقصة " كما يقول " أن الملك مبعوث ، كما أن صاحب الدين مبعوث ، الا أن احد المبعوثين أخفى من لآخر ، والثانى أشهر من لأول [٢]

وهو هنا لا ينفصل برأى شاذ عن مسكويه الذى يوافقه فى ذلك بل أنه يرى أن العقل والشرع يمدان الانسان بكل القواعد والشرائع التى تحكم سلوكه وتشيع الفضيلة فى المجتمع فيصبح مجتمعا فاضلا وقد كان كتابه تجارب الامم بما تضمنه من تجارب للأمم والشعوب بدءا من الطوفان وحتى عام ٣٦٩ هـ ، وما حواه من حكم ومواعظ يعد عبره وتجربه خاصة للملوك والساده ، لانه يعتقد أن حوادث التاريخ قد لا تتكرر احيانا بنفس الوضع ، ولكن على العاقل أن يتخذ منها درسا وعبره يعتبر بها ويتحرز منها ، كما كانت دعوته لان يكون هناك حاكم عادل حتى تستقيم امور الرعيه ويسود النظام وينعدم الطغيان " هذا السلطان القوى ذو السلطة النافذه هو السلطان ، فهو عدل ناطق ، لانه ينطق بالناموس المشروع الذى يجب أن يخضع له سائر الناس ليعيشوا فى سلام واطمئنان دون ان يستغل بعضهم بعضا بغير حق [٣]

---

[١] رسالة التقيفه ، ص ٢٢-٢٣ ، وانظر ايضا ، سالم يفوت : مدخل لقراءة رسالة التقيفه ، مجلة فصول ص ٢٦٠ .

[٢] الامتاع والمؤانسة ، جـ ٣ ص ٧٥ وانظر ايضا : د. عاطف العراقى : مفهوم الانسان عند ابى حيان التوحيدى ، ص ٣٢ ، مجلة فصول

[٣] مسكويه : تهذيب الاخلاق ، ص ١٣٦ ، مسكويه : تجارب الامم ، ص ٥٢

رابعا : الانسان وأبعاده الماروائيه :

يقول التوحيدى نقلا عن أبى سليمان السجستانى "الانسان لب العالم المتوسط بين العالمين ، وله نزاع الى الطرفين : الى ما ينحط عنه بالشوق الى الكمال ، والى ما يعلو عليه بالتنزه عن النقصان ، وهو مرتهن بالاسباب العاليه والدانيه وتابع للغالب ، ومنجذب مع الجاذب ، وفاعل فيما علا عليه وقبل أثره ، وقابل مما انحط عنه وسرى اليه اثره" [١]

يشير النص الى أنه رغم أن الانسان هو مركز الكون الذى يقع فى المتوسط بين العالم العلوى ، والعالم السفلى ، وأنه ينتسب الى ما علا بالمماثله ، والى ما سفل بالمشاكله ، وبالتالى يتمثل فيه الجانبان شرف الاجرام الناطقه بالمعرفه والاستبصار ، وضعه الاجسام الحيه الجاهله الساعيه الى مطالبها الماديه[٢] .

أقول رغم ادراكه لتلك المكانه ، إلا أنه يجهل الكثير مما يحيط به أو يقع داخله وما ذلك إلا لأن هناك مناطق حرم الانسان من ادراك حقيقتها لحكمه لم يستطع الانسان ادراك عللها وبالتالى كانت محاولاته المعرفيه لادراك حقيقتها أو طبيعتها دائما ما تزيد من حيرته وتشككه ، وربما أدت الى خلافات ومزالق لا حد لها ، من بين تلك القضايا التى مثلت اشكاليات للانسان قدرته على ادراك حقيقة "الواحد وماهيته ، تطلعه الى كشف غموض حقيقة الموت وطبيعة المعاد ، شعوره بحريته أو جبريته .

وسوف نجد أن هذه القضايا الميتافيزيقيه وغيرها كانت من أسباب حيرة التوحيدى وصراعه مع نفسه ويأسه من ادراك حقيقتها مما كان له انعكاساته الخطيرة على حياته وخاصة فى اخريات أيامه ، بينما كانت هذه القضايا بالنسبة لمسكويه قضايا فلسفيه من حق العقل أن يبحث فيها دون انتظار لاجابات محددة يقينيه .

١- ادراك الانسان الحقيقه الإلهيه :

يتفق التوحيدى ومسكويه على أن الله معروف لدى جميع الأمم والشعوب ، ورغم ذلك فقد اختلفت الاديان والمذاهب فى حقيقته الى حد التناحر والتجريح والتكفير وفى ذلك يقول مسكويه وذلك أن

---

[١] انظر التوحيدى : البصائر والذخائر جـ ٢ ، ص ١٢ ، تحقيق وداد القاضى

[٢] التوحيدى : المقابسات ص ٢٠٢

مطلوبنا من أصعب الاشياء ، وابعدها عن العادات وأقصاها ، وهو مع ذلك أظهر الاشياء ، وأجلاها وأبينها ... أما ظهوره فمن قبل الحق نفسه ، لأنه نير ، وأما غموضه ، فلأجل ضعف عقولنا وعجزها وكلالها" [١] . والتوحيدى يوافق مسكويه فى أن اسباب الاختلاف فى حقيقة الوجود الإلهى إنما تعود الى العقل ويزيد أن هذا الاختلاف طبيعى فى الانسان لاسباب التكوين العقلى والبينى ، لأن الناس على فطر كثيره ، وعادات حسنة وقبيحه ، ومنها شىء محموده ومذمومه ، وملاحظات قريبه وبعيده ، ومن هنا كانت ضرورة الاختلاف [٢] .

وبينما يذهب مسكويه الى برهان السلب الذى ينفى المماثله أو المشابهه بين الخالق والمخلوق ، لأنه أليق البراهين بالأمور الإلهيه ، ولأنه انما يحتاج فيه الى ازالة الاسباب والمعانى عن الله تعالى ، ومن ثم فهو مباين لجميع الموجودات مباينه تامه ، لا يجمعه وإياها نوع من أنواع الاشتراك الذى قد تقع فيه من حيث الالفاظ التى نطلقها عليه ، وإنما اصطلحنا عليها لضرورة فى التعبير عن الاشياء الموجوده فى عالمنا [٣] .

نجد التوحيدى يميل الى القول باستحالة وصف الذات الإلهيه، وبالتالى فالصمت عن المجهول ، أنفع من الجهل بالمعلوم ... وليس للخلق من هذا الواحد الاحد إلا الإنيه والهويه ، فأما كيف ، ولم ، وما هو ، فإنها طائره فى الرياح [٤] .

ولقد اثار التوحيدى مشكلة الخلاف حول الذات الإلهيه وصفاتها – بصورة فجه حين روى لنا نقلا عن الزهيرى – أن رجلين تناظرا فى وصف البارى سبحانه ، واشتد بينهما الجدال ، فتراضيا بأول من يطلع عليهما ويحكم بينهما ، فطلع اعرابى ... ووصفا له مذهبيهما ، فقال الاعرابى لاحدهما – وكان مشبها – أما أنت فتصف صنما ، وقال للثانى : وأما أنت فتصف عدما ، وكلاكما تقولان على الله مالم تعلما [٥] .

---

[١] مسكويه : الفوز ا لاصغر ، ص ٨-٩

[٢] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ٣ ص ١٨٦-١٨٧

[٣] مسكويه : الفوز ا لاصغر ، ص ٢١-٢٢ ، وانظر ايضا مقدمة تحقيق د. عبدالفتاح أحمد فؤاد لكتاب مسكويه الفوز الأصغر ، ص ١٥٦-١٥٧

[٤] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ ٣ ص ١٢٤-١٢٥

[٥] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ٣ ص ١٩٦

ولذا فقد وجه التوحيدى سؤاله الىمسكويه مستفسرا عن قول أحد الصوفيه "ان أعجب الاشياء بعيد لا يجحد ، وقريب لا يشهر ، وهو الحق الأحد" ولم ينتظر اجابة مسكويه كعادته ، وإنما سارع الى التعليق بقوله "وعلى ذكر الله تعالى : بم يحيط العلم من المشار اليه باختلاف الاشارات والعبارات ؟ أهو شيء يلصق بالاعتقاد ، أم هو مطلق لفظ بالاصطلاح ؟ أو هو إيماء الى صفه من الصفات مع الجهل بالموصوف ؟ أم هو غير منسوب الى شيء بعرفان ؟ فإن كان منعوتا بنعت ، فقد حصره الناعت بالنعت ، وان كان غير منعوت ، فقد استباحه الجهل وزاحمه المعدوم ، ولابد من الاثبات اذا استحال النفى، واذا وقف الاثبات والنفى على المثبت النافى ، فقد سبق اذن كل اثبات ونفى ، فإن كان سابقا كل هذه الالفاظ ، وجميع هذه الاغراض ، فما نصيب العارف ، وما بغية ما ظفر به الموحد [١] ؟

وسؤال التوحيدى يثير اشكالا يصعب حله اذ يدور حول اثبات بعض الصفات للذات الإلهيه أو انكارها عنه . والاثبات يعنى حصر الموصوف وبالتالى تناهى الذات الإلهيه ، فى حين أن انكاره هذه الصفات أو سلبها عن الذات انما يدخلهما فى نطاق المعدوم الذى لا يمكن وصفه بأى صفه من الصفات . وخاصة أن الله لا يوصف بالشيئيه أو بالوجود عند بعض الفلاسفه ، لأن الشيء هو ما يوصف أو ينعت والبارى لا يوصف ولا ينعت . كما أن القول بأنه موجود يقتضى وجود واجد أقدم منه والله لا موجد له[٢] .

ورغم ذلك فقد رد مسكويه – على ما ذكره التوحيدى بهذا الشأن ، وبشأن الاعرابى الذى تحير فى من يثبت الصفات ، ومن ينفيها . رغم اتفاقهما على أنه عالم لا كالعالمين ، قادر لا كالقادرين ، سميع لا كالسامعين ، ويعقب الاعرابى ثم عادت المثبته واتكأت على النص اذ قالت له علما لا كالعلوم . وعموما فالفرقتين مثبته نافية فى آن واحد فكيف ذلك ؟[٣] – يقول مسكويه "واما اطلاقنا ما نطلقه عليه من الجود والقدرة وسائر الصفات ، فلأن العقل اذا قسم الشيء الى الايجاب والسلب أو الى الحسن والقبح ، أو الى الوجود والعدم . وجب أن ينظر فى كل طرفين ، فينسب الافضل منهما اليه ان كنا لا محالة مشيرين اليه بوصف . ثم يضرب مسكويه مثلا يبين به ذلك

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٥٥-٥٦

[٢] التوحيدى : المقابسات ، ص ١٨٦-١٨٧

[٣] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٢٧٨-٢٧٩

وهو أننا اذا نظرنا فى حالى القدره والعجز ، وجدنا أحداهما مدحا والآخرى ذما ، فوجب أن ينسب اليه ما هو مدح عندنا ، وكذلك نفعل فى سائر الصفات حيث نجد أن لكل صفه طرفين كالجود وضده ، والعلم وخلافه [١] . والاحسن فى نظره ، ان نستعمل أحسن ما تقدر عليه من الفاظ تليق بذات الله العليه فإذا وجدنا لفظين متقابلين مثل الموجود والمعدوم ، القادر والعاجز ، العالم والجاهل ، فعلينا أن نختار الأحسن والاشرف والافضل ، والأفضل كما يقول مسكويه الا نطلق على الله إلا ما أطلقته الشريعه ، ورغم تأكيد مسكويه على ضرورة عدم القول بصفات لم ترد فى الشريعه ، فقد ذكر لله تعالى صفات تأثر فيها بمذهب أرسطو . اذ وصف الله بأنه ليس بمتحرك ، وليس [illegible] وليس بمتكثر [٢] . ويعلل مسكويه حيرة الاعرابى ويفسرها بأن نفى الصفات عند الطائفة الاولى يفضى فى نهاية المطاف الى اثباتها ، وان اثبات الصفات عند الاخرى يفضى الى نفيها ، واذا كنا بين شقى الرحى ، واننا اما نقول ينبغى مثبت ، أو نقول باثبات ناف فالحقيقة اننا – كما يؤكد التوحيدى – نقول عن الله ما لانعلم . وقد أدرك التوحيدى فىنهاية المطاف أن ادراك الحقيقة الإلهيه من الاسرار الخفيه التى تحار فيها العقول فنراه يقول فى الهوامل والشوامل "هيهات ! هيهات ! اشتد اللغط ، وكثر الغلط ورجع كل الى الشطط ،وفات الله الفهم والفاهم ، والوهم والواهم ، وبقى مع الخلق علم مختلف فيه وجهل مصطلح عليه ... الخ"[٣] ولذلك فقد وجد أن معرفته حق المعرفة لن يكون الا من خلال مناجاة الذات الإلهيه بقلب واع مفعم بحب الذات وعشقها حينئذ تملأ كيانه ويدرك ماهيتها ولذلك نراه يقول "الهى ، كل ما أقوله فأنت فوقه ، وكل ما أضمره فأنت أعلى منه ، فالقول لا يأتى على حقك فى نعتك ، والضمير لا يحيط بكنهك . وكيف نقدر على شىء من ذلك ، وقد ملكتنا فى الاول حين خلقتنا ، وقدرت علينا حين صرفتنا ؟ .... ومن الجهل أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك ، ومن سوء الادب أن أعرفك بغير ما عرفتنى به حقيقتك...." [٤] .

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٢٧٩-٢٨٠ ، وانظر ايضا الفوز الاصغر لمسكويه ص ٢٠-٢١

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١١٠ ، وانظر ايضا مسكويه : الفوز الأصغر ، ص ١٩

[٣] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٥٦

[٤] التوحيدى : الاشارات الإلهيه ، ص ٢١٨

٢- حقيقة الموت وماهية المعاد :

يقر التوحيدى بعجز العقل البشرى عن فهم معنى الوجود ، وقصور النفس الإنسانية عن احتمال عذاب الحياه وبالتالى يأسهم منها واختيارهم الموت ، ولقد كثرت تساؤلات التوحيدى حول هذا الموضوع ، وظهر اهتمامه البالغ فى مواضع متفرقه من كتبه وهو أن دل على شىء فإنما يدل على ما سرى فى روحه ووجدانه من قلق وشعور بالاغتراب ، ويؤكد ذلك تعاطفه فى بعض الأحيان مع من يتخلص من نفسه بالانتحار ، ورغم تقريعه ، لأحد الشيوخ من العلماء الذى لم يحتمل شظف العيش وضيق الرزق ، ونفور الناس ، فأنهى حياته - وادانته له لا من وجهة نظر الشريعه فحسب ، بل من وجهة نظر العقل ايضا ، فالواقع ان ابى حيان كان أكثر الناس ادراكا لضعف النفس البشريه ، وكان يلتمس لها أحيانا العذر إذ يقول فى احدى مقابساته " ... ولولا لطف الله بعباده ، لخسروا أنفسهم ، وانتهوا الى أسوأ مصير" [١] .

كانت مشكلة الموت ومصير النفس ، والمعاد ، والانتحار من أهم المشكلات التى تساءل عنها التوحيدى وساءل فيها مسكويه وعلماء عصره علـه يجد اجابات تقنع نفسه الحائرة وذاته القلقه . وكانت تساؤلاته ومناقشاته لا تقف عند الحدود الأخلاقيه أو الوجوديه وإنما تعدتها الى النطاق الميتافيزيقى وقد ذكر فى"الامتاع والمؤانسة" أن القوم .... متفقون فى الاعتراف بانها (أى النفس) جوهر باق خالد" [٢] ورغم ذلك فقد تشكك فى أمر المعاد وهل هو للإنسان أم لنفسه ؟ أم لهما ؟ .

وما السبب فى قتل الانسان نفسه ؟ بل انه ساءل مسكويه ما سبب الجزع من الموت ؟ وما الاسترسال الى الموت ؟ وما السبب فى أن الذين يموتون وهم شبان أكثر من الذين يموتون وهم شيوخ؟ لم سهل الموت على المعذب مع علمه أن العدم لا حياة فيه ... وأن الاذى وان اشتد فإنه مقرون بالحياه ؟ ... وهل هذا الاختيار منه بعقل

---

[١] التوحيدى : المقابسات ، ص ٢١٩

[٢] التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، جـ١ ص ٣٨

أو بفساد مزاج ؟[١] .بل أننا سنجد التوحيدى وقد تشكك فى حدوث المعاد وتساءل فى المقابسات هل يمكن أن يكون اعتقاد الناس فى المعاد وهما ؟ وقد تواطىء فى اثباته عقلاء الناس فى أول الدهر ، ثم جاء فى الديانات بعد ذلك حتى جرى الناس على تصديقه والتسليم به كأنه حقيقه ؟[٢]

وعموما فإن إجابات مسكويه والتوحيدى على كل هذه التساؤلات لتدل دلالة واضحة على عمق أفكارهما وقدرتهما على الغوص فى أعماق النفس البشريه لتحليلها والكشف عن غوامضها حتى لتؤرقهما مشكلة الوجود والعدم ففيما يتعلق بقضية اثبات المعاد استشهد التوحيدى بإثبات القومسى أبا بكر المتفلسف " بأن المعاد أثبت فى نفوس الناس ، وأرسخ فى عقولهم ، وأعلق بأذهانهم من أن يكون أصله راجعا الى التواطؤ والاصطلاح .

ورغم إيمانه بأن الحكمه الإلهيه قد طوت حقائق عنده المعرفه عن العباد وأنه ليس فى وسع العقل البشرى أن يصل الى ادراك المطلق أو يحيط علما بحقيقة المعاد إلا بالاستعانه بالشرع خاصة وأن الفلاسفه قد عجزوا عن ادراك كنه النفس وتحديد طبيعتها قبل الموت فكيف لهم معرفة حالها بعد الموت . إلا أنه فى بعض الأحيان كان يتشكك فى حقيقة المعاد فقد ورد أنه قال على لسان أبى بكر الرازى :

لعمرى لا أدرى وقد أذن البلى
بعاجل ترحال الى أين ترحالى ؟
وأين مكان النفس بعد خروجها
من الهيكل المنحل والجسد البالى؟[٣]

هذا رغم إيمانه فإن العقل شاهد على زوال الأبدان وبقاء النفوس ، ولو كان الموت خاتمة الحياه لأزهق اليأس الأرواح وأتلف النفوس ولو كان العقل عاجزا تماما عن استطلاع بعض جوانب الامر لكان العالم بكل ما فيه عبثا[٤] ، انه يستشهد بقول "سويقلس" ان الذى لا يعلم ان له حياه الا حياه طبيعيه فقط فهو شقى ، وذلك أن هذه الحياه الطبيعيه شبيهه بالظل الزائل ... فأما الذى يعلم أن له مع ذلك حياه نفيسه يغدوهما بالنطق فإنه غير مائت وهو مغبوط بأن يقتدى

---

[١] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٨٧

[٢] التوحيدى : المقابسات ، ص ٣٤٣

[٣] التوحيدى : المقابسات ، ص ١٢٨ ، وانظر ايضا التوحيدى : رسالة الحياه ، ص ٧٨-٧٩

[٤] التوحيدى : رسالة الحياه ، ص ٦٥

بأفعاله بالله عز وجل . انه يورد فى احدى مقابساته أنه سمع أبا سليمان يقول : نحن نساق بالطبيعه الى الموت ، ونساق بالعقل الى الحياه ، لأن الذى هو بالطبيعه قد أحاطت به الضروره ، والذى بالعقل قد أطاف به الاختيار ... والانسان مسجون بالضروره والاختيار ، وعلى ذلك فمعاده الى غايته التى هو متوجه اليها من جهة اختياره ، ومتوجه به نحوها من جهة اضطراره [١] .

ولهذا السبب استنكر التوحيدى رغم معاناته النفسيه موضوع انهاء الحياه بالاضطرار أو ما يطلق عليه "الانتحار" انه يتساءل فى هوامله ، ما السبب فى قتل الانسان نفسه عند اخفاق يتوالى عليه ، وفقر يحوج اليه ... وباب ينسد دون مطلبه ومأربه وعشق يضيق به ذرعا ... وما الذى يرجو بما يأتى ؟ ... وما الذى يخلص الى وهمه من العدم حتى يسلبه من قبضة الوجدان ، ويسلمه الى صرف الحدثان" [٢] وأنه ليتعجب كيف تتخلى النفس البشريه عن الحياه وهى التى طالما تعلقت بها واستمسكت بحبالها ، ومن ذلك نرى ادراك التوحيدى لهذه الحقيقه وربما كانت دافعا له لتأليف رسالة فى قيمة الحياه ومعناها ناقش فيها قضية الحياه والموت مناقشة فلسفيه عميقه اذ يستند الى قول أفلاطون بأن الموت موتان ، موت ارادى ، وموت طبيعى ، فمن أمات نفسه موتا ارادیا (بقمع شهواته الماديه) كان موته الطبيعى حياه له ، اذ فى هذه الحاله تفرغ النفس العاقله لاقتناء كمالاتها الإلهيه فتعيش حياه أبديه وخلود دائم [٣] .

ويثبت أن الحياه الثامنه (وهى حياة العاقبه) التى تنال بعد المفارقه والتى تسمى الموت ويستفظعها الجمهور ، وتنال بالاجتهاد والسعى والقيام والقعود والعباده والزهاده والمشقه والقلق إنما هى الغرض الاقصى وهى الحياه الجامعه بين السرور والبقاء السرمدى فى حظيرة القدس ومراد الانس حيث الطمأنينه الروحانيه ، ويشير التوحيدى الى أن شعورنا بهذا البقاء السرمدى انما يكون بنور الهى يسرى فينا ، وقد يكون بحدس عقلى يسيطر علي قوانا [٤] .

---

[١] التوحيدى : المقابسات ، ص ٢٤٣

[٢] التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ١٥٠-١٥١ ، وانظر ايضا : د. زكريا ابراهيم : أبو حيان التوحيدى : ص ٢٢٧-٢٣٢

[٣] التوحيدى : رسالة الحياه ، ص ٦٦

[٤] التوحيدى : رسالة الحياه ، ص ٦١

وقد ذهب مسكويه الىَ هذا الرأى الذى استند فيه كلاهما على افلاطون الذى رأى ان النفس الناطقه وحدها تبقى بعد أن تفارق الجسد ، أما سائر اجزاء النفس فإنها تموت بموت الانسان ويقصد مسكويه النفس الشهويه والغضبيه وقوى النفس الهيولانيه [٥] .

كما يعتقد مسكويه والتوحيدى بالمعاد الروحانى ويتجاهلان المعاد الجسمانى ولكنهما يحذران من اشاعة هذا القول بين العامه لأنهم يعجزون عن ادراك الحقائق المجردة عن الحس [١] .

وبعد ، فلاشك أن الحوار الذى دار بين قطبى الفلسفة والادب والذى تناول الانسان كمشكلة ولغز محير ليدل دلالة واضحة على ثراء وعمق فكر السائل ، كما يدل على نضج واتزان المجيب أيا كان السائل أو المجيب فكلاهما قد تبادلا الادوار وكان التقارب بينهما كبيرا مما يدل على أنه كان حورا للعقل ، ولم يكن صراعا للفكر .

فهل عرف كل منهما حقيقة نفسه ، بل هل عرفنا نحن حقيقة الانسان .

الم أقل لكم منذ البدايه أنها مشكلة المشاكل منذ خلق الانسان وحتى الآن الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .....

---

[٥] مسكويه : الفوز الأصغر ، ص ٢٣٠ : وانظر ايضا التوحيدى : الهوامل والشوامل ، ص ٣٥٣

[١] مسكويه : الفوز الاصغر ، ص ٢٣٨ ، وانظر ايضا عبدالمجيد الشرفى : حداثة أبى حيان ، ص ١٣-١٤ ، مجلة فصول .

مؤلفات التوحيدى ومسكويه

١ الهوامل والشوامل بالمشاركة مع مسكوية ـ نشرة أحمد أمين، السيد أحمد صقر ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥١ .

٢ الامتاع والمؤانسة ـ تصحيح وتقديم أحمد أمين ، أحمد الزينى ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ بيروت

٣ المقابسات ـ تحقيق حسن النووى ـ المطبعة الرحمانية ـ القاهرة لسنة ١٩٢٦ .

٤ البصائر والذخائر ـ تحقيق وداد القاضى ـ دار صادر بيروت ١٩٨٨ .

٥ الاشارات الالهية ـ تحقيق د/ عبدالرحمن بدوى جـ ١ القاهرة ١٩٥٠ .

٦ مثالب الوزيرين ـ تحقيق د/ ابراهيم الكيلانى ـ دار الفكر ـ دمشق ١٩٦١ .

٧ رسالة الحياة ضمن ثلاث رسائل تحقيق د/ ابراهيم الكيلانى ـ منشورات المعهد الفرنسى ١٩٥١ .

٨ رسالة التوحيدى الموجهة الى القاضى من سهيل على بن محمد

٩ رسالة الصداقة والصديق شرح وتعليق متولى صلاح ـ مكتبة الاداب ١٩٧٢ .

١٠ رسالة السقيفة ضمن ثلاث رسائل ـ د/ابراهيم الكيلانى ـ منشورات المعهد الفرنسى ١٩٥١ .

١١ تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق لمسكوية ـ قدم له الشيخ حسن تميم طـ ٢ . منشورات دار الحياة ـ بيروت .

١٢ الفوز الاصغر ـ القاهرة مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

١٣ تجارب الامم حـ ٦ تحقيق أمرروز ـ القاهرة ١٩١٥ .

١٤ الحكمة الخالدة جاويدان ـ تحقيق د/ عبدالرحمن بدوى ـ النهضة ـ القاهرة ١٩٥٢ .

١٥ السعادة طـ ٢ ـ القاهرة ـ صبيح ١٩٠٨ .

١٦ رسالة النفس والعقل ، رسالة فى جوهر النفس ـ مخطوطة مصورة من مكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٠٦٣ عن نسخة راغب باشا رقم ١٤٦٣ .

مراجع عامة

١ ابن ابى الحديد : شرح نهج البلاغة حـ ٢ . القاهرة ١٣٣٩ هـ .

٢ ياقوت الحموى : معجم الادباء . نشرة دار المأمون .

٣ احسان عباس : ابوحيان التوحيى . دار جامعة الخرطوم للنشر ط ٢ . ١٩٨٠

٤ حسن الملطاوى : الله والانسان فى فلسفة ابى حيان التوحيدى مكتبة مدبولى ١٩٨٩ .

٥ د . زكريا ابراهيم : ابو حيان التوحيدى . اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء سلسلة اعلام العرب . المؤسسة المصرية العامة للنشر

٦ د . زكربا ابراهيم : مشكلة الانسان ـ مكتبة مصر

٧ عبدالامير الاعسم : ابو حيان التوحيدى فى كتاب المقابسات . دار الاندلس بيروت ١٩٨٣ .

٨ دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام . ترجمة د/عبدالهادى ابو ريدة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨.

٩ عبدالعزيز عزت : ابن مسكوية فلسفة الاخلاق ومصادرها . القاهرة الحلبى ١٩٤٦ .

١٠ محمد يوسف موسى : فلسفة الاخلاق فى الاسلام ط ١ مؤسسة الخانجى ١٩٦٣

١١ عبدالمقصود وعبد الغنى : الفلسة الاخلاقية فى الاسلام . مكتبة الاسراء ١٩٨٦ .

١٢ د/أحمد صبحى : الفلسة الاخلاقية فى الفكر الاسلامى . دار المعارف ١٩٦٩ .

١٣ د/ محمد عثمان نجاتى : الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين . دار الشروق ١٩٩٣ .

١٤ آدم متيز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة د/ عبدالهادى ابو ريدة القاهرة ١٩٤٣

١٥ جمال الغيطانى : خلاصة التوحيدى . المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٥ .

١٦ د/ ابراهيم الكيلانى : ابو حيان التوحيدى . دار المعارف ط ٤ ١٩٨٠ .

١٧ ماجد فخرى : الفكر الاخلاقى العربى حـ ٢ الفلاسفة

الخلفيون . الاهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٧٩ .

١٨ **محمود ابراهيم** : فى قضايا الانسان واللغة والعلوم . دار المتحدة للنشر بيروت ١٩٨٥ .

١٩ **مرجليوت** : دراسات عن المؤرخين العرب . ترجمة . د/ حسين نصار ـ بيروت ـ دار الثقافة .

٢٠ **د/ عبدالفتاح فؤاد** : مسكوية . الفوز الاصغر . مقدمة الكتاب . دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩ .

٢١ **د/ عاطف العراقى** : مفهوم الانسان عند ابى حيان التوحيدى ـ مجلة فصول جـ ٣ العدد الاول ـ مجلد ١٥ ١٩٩٦ .

٢٢ **د/ حامد طاهر** : فلسفة السؤال . مجلة فصول ـ مجلد ١٤ عدد ٤ ١٩٩٦ .

٢٣ **محمود أمين العالم** : تساؤلات حول الهوامل والشوامل . مجلة فصول مجلد ١٤ ـ عدد ٤ سنة ١٩٩٦ .

٢٤ **د/ زينب الخضيرى** : ابو حيان التوحيدى والبحث عن السعادة . مجلة فصول جـ ٣ مجلد ١٥ سنة ١٩٩٦ .

٢٥ **د/أحمد بربرى** : البعد الاشارى والبعد الرمزى ـ مدخل القراءة خطاب ابى حيان ـ مجلة فصول ـ مجلد ١٤ ـ عدد ٤ ١٩٩٦ .

٢٦ **عبد المجيد الشرفى** : حداثة ابى حيان ـ مجلد فصول مجلد ١٤ العدد ٤ ١٩٩٦

٢٧ **انور لوقا** : ابو حيان والتعامل مع الحداثة ـ مجلة فصول مجلد ١٤ العدد ٤ ١٩٩٦ .

٢٨ **ماجد يوسف** : ابوحيان التوحيدى . حوار العقل وسؤال الحرية ـ مجلة فصول ـ مجلد ١٤ العدد ٤ ١٩٩٦ .

٢٩ **هالة فؤاد** : تحولات حديث الوعى ـ مجلة فصول ١٤ العدد ٤ ١٩٩٦ .

٣٠ **غانم هنا** : المعرفة والعلم فى فكر ابى حيان التوحيدى . مجلة فصول ـ مجلد ١٤ العدد ٣ سنة ١٩٩٥

٣١ **محيى الدين اللاذقانى** : منطق السلطة وهواجس المثقفين،ثنائية التمرد والاستسلام فى تجربة ابى حيان التوحيدى ، مجلة فصول حـ ٢ مجلد ١٤ سنة ١٩٩٦

٣٢ سالم ياقوت : مدخل لقراءة فى رسالة التثقيف ــ مجلة فصول ١٤ عدد ٣ سنة ١٩٩٥ .

33 - Arkoun (Mohamed) In troduction a Traite ethique de Miskawayh, irstitut Francais de Damos, 1969 pp. Xi -xii

34 - Arkoun . M. L hamanisme Arabe au iv - xsiedo Dapres be kitab al Hawamil wd sawamil. Studia islamica. Vol- xiv. 1961

35 - Clifford Bowrth : The Medieval Islamic under world . The Banw sasan in Arabic socity and literature Briu 1976.

36 - Sharif. M.M. Hutory of Muslim philosophy wiesbaden. 1962.

37 - Zuray k. C. K. (Trans) Mlikawayh the Refinement of character, Beirut. 1966 .